AL TAREEK AL THAKAFI
الطريق الثقافي
NO. 76
12 صفحة
500 دينار
21 أيلول/ سبتمبر 2013 21 September

12 تشكيل
تحسين الزيدي
هارمونية الضوء

2 نمط
الألوان والفرشاة ضد المدافع الرشاشة
الطريق الثقافي

3 دراسة
إشكالية المثقف العراقي الممنوع والممتنع
ثامر عباس

4 نصوص
أحلام في وضح النهار
فاهم وارد العفريت في مركز الثلث الثاني
إسماعيل إبراهيم عبد
شئ من الصحو
ريسان الخزعلي
كمائن باردة
فراس طه العسكر

6 تجارب
أخطاء شائعة عن حياة وليم شكسبير
حسين علي الوائلي

8 ذكرى
بابلو نيرودا شهيد الفكر الثوري
غريب دوحي

9 ترجمة
آيان بوروما صباح رائق في البرية
صادق باخان

10 حوار
الباحث حسام الآلوسي
فلاسفتنا فيوضيون مثاليون وليسوا ماديين
سعدون هليل

7 أمكنة
«عمكا».. عينكاوه
المكان ومنحنى الميثولوجيا

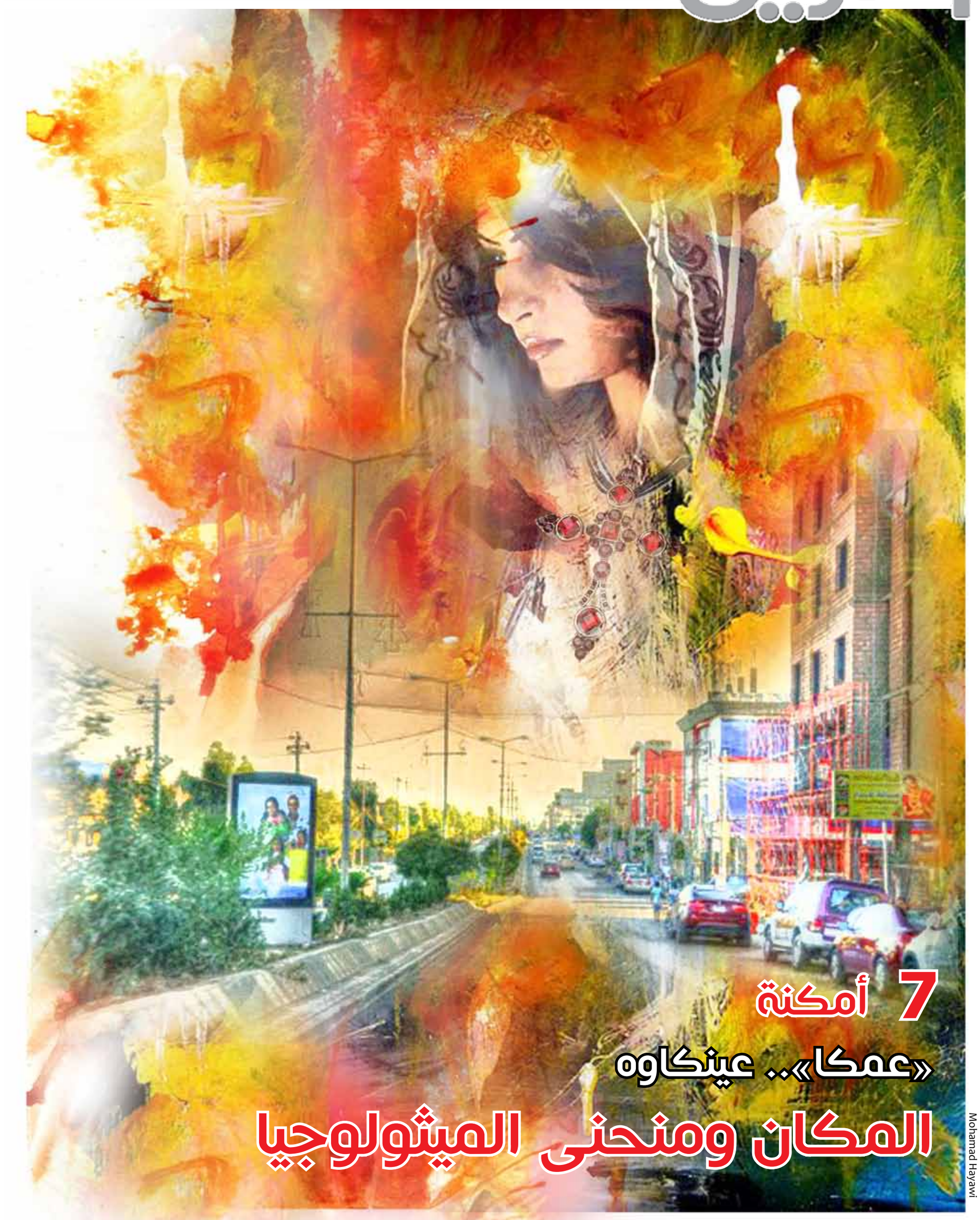

Mohamad Hayawi

ثقافة الطريق

ما وراء افتقاد المبادئ

ما يحاول المثقف الانشغال عنه ليتجنب تعكيرَه أو تأنيبه، يظل يواصل حضوره في نشاط هذا الإنسان الذي وصفناه بـ "المثقف" . ودائما ما نجد التعبير عن هذه المسألة بمستويات مختلفة وبأشكال. منها كما تصفه الكتب: "الأخلاق والواجب" ومنها "أدب الدنيا و الدنيا" ومنها "الالتزام الأخلاقي والمبدئي" وما يصحب هذه من ضوابط وأشباه ضوابط.

ما هو مؤكد ان التساهل في "المسألة" هو انتصار لـ "هوى" أو لـ "عاطفة" .. فكل مثقف، كل مبدئي يحتاج إلى ضرب معين من الجهد الأخلاقي، يقلل من حريته في التصابي أو التساهل مع ثوابت الأخلاق المطلوبة منه. هذا الجهد الأخلاقي هو نضال ضمني لانتصار الثقافة، أو المبدأ، أو ما نسميه لوازم ترصين الثقافة. وأي خلل بهذا الالتزام يقلل من تجليات الثقافة الموضوعية على صعيد الحياة المباشرة. وعلى العكس، الالتزام بمؤشرات المبادئ يؤكد فعل الثقافة الايجابي في الحياة كما له قوة كشف الزيف والخلل في المقابل المضاد. أعني كشف عوامل الهدم وتفتيت كتلة الجهد الجماعي .

هذا الالتزام للمبدئيين، وللمثقفين الفاعلين في المجتمع، يضفي جمالاً على مسيرة المجموعة التي يجمع بينها النسق ويمنح الامتياز للفرديات ضمن إطار الجمع الواسع.

وحين كانوا يوصون بالمبدئية الصارمة، كان ذلك تدريباً على الانضباط لا الانفلات، أي على الالتحام مع الفكر أو المبدأ، او الهدف لا الانفراط والإساءة إلى الانموذج الأخلاقي المرسوم للأخلاقية العليا.

وفي التطبيق العملي، شخصياً أدركت خطراً فيما شاهدته من مواقف وفيمن رأيت من الذين غادروا المعتقلات، او تركوا العمل السياسي. هذا البعض انفرطت مبدئيتهم وتهاوى الالتزام الأخلاقي بعد تهاوي المبادئ. فلم يقتصر الأمر فيهم على ترك مبادئهم او أفكارهم (فذلك شأنهم وربما تحولهم او تطورهم الثقافي) ، لكنهم تحولوا إلى عملاء مؤسسات وسماسرة ثقافة ومنتفعين صغار. ان ضياع المبادئ أعقبه ضياع الالتزامات الأخلاقية العامة وهذا للأسف مسخ الكثير من الأسماء المحترمة، وسبب خسارة مؤذية للحركة الوطنية او لأمل الجماهير بالمستقبل إذ نزل بمستوى هؤلاء الى مستوى اللامبالاة والتصابي او التهريج تعويضاً عن الفراغ المبدئي الحاصل، ووصل ببعضهم إلى حد تهزئة كل الأفكار والفلسفات ليتسم سلوكه بعبثية مخجلة من تلك التي ترتبط عادة بالسقوط.

بعضهم وصل به الأمر إلى تلف كامل للمضمون الإنساني فراح يستهين بما كانت مقدسات يدافع عنها وصار يساوم على المسعى العام، ويصل الانحدار في الجانب الشخصي ليصبح نوعاً من المراهقة والعبثية وروح البهاليل. هو سلم الانحدار يصل به الى مستوى السفاهات، فتراه كهلاً أو شيخاً يرتضي لنفسه اللهو العابث كالتصابي السفيه في غير اوانه او تبادل نكات صبيانية وعبث لا يليقُ به مع محبَطين او ضائعين مثله بلا خَجل من عمر ومن ماض مشرف ومبادئ كانت ولا من حضور اجتماعي وعنوان! رجل آخر اعرفه كان واحداً من القادة الثقافيين وكان موضع الاحترام لثقافته وخلقه وأدبه. قرأت له مرة هذا "التساهل" المخجل ينشره على العالم: انه في منتدى، في ملهى، نهض الى الراقصة (الرقاصة) الشرقية وقبلها في الصُرّة ! أرأيتم أية مفاخر جديدة صارت بدائل للمفاخر الحقيقية الأولى؟ أين هذا من شخصية المبدئي المحترمة المهابة ذات الشأن؟ خسارة المبادئ لا تظل خسارة أفكار، هي تصبح خسارة لا تعوض للمضمون الإنساني كله ولجوهر الشخصية الفردية. بانهيار المبادئ ينهار جمال المبنى الإنساني ومعناه! كان المسعى ان يحتفظ الإنسان بإنسانيته، بأن يبقى نظيفاً وايجابياً في العمل على ازدهار الحياة. لكن الظروف السيئة تأبى الا ان يسقط الإنسان لترضى!

ان من النماذج التي اشير لقلقها–فكراً وسلوكاً، اصدقاء هم الاجمل خُلقاً وثقافة وكلاماً. فأية ظروف شرسة ومرة اضطرتهم لأن يقتلوا الزمن بلُعَب لا تهب سلوى ولا نسيان! يحزنني ان يكونوا قد غضوا النظر عن مزاياهم العزيزة بل عن امجادهم الثورية والخلق الذي رسم مجد سيرتهم الاولى. نعم البطش والانكسارات بعض من الاسباب لكن للوعي مقاومته وللجوهر صلابته وما أقوله هنا بعض من اسفي ومن حزني على ما ضاع ويضيع منهم ومنا!

معلوم ان مؤسسات معينة ابتدعت مصطلح "الكتلة العمياء" . ومؤسسات ومعاهد بعدها صارت تنشر ثقافات، كتلك التي ذكرنا امثلة لها، لتصل بالمثقف المبدئي الى نقطة السقوط. وهي واحدة من الطرائق الشريرة لأخلاء الجماهير من قادتهم الثقافيين . اذن هو مسعى مرسوم وهدف لتحويل الجماهير إلى كتلة عمياء. جماهير بلا قادة ثقافيين. طاقات ضخمة بلا معنى لا تصل إلى هدف : كتلة كبيرة عمياء!

ياسين طه حافظ

في سينما.. فيلم «ملك الرمال» تاريخ العائلة السعودية بين الطموح والطغيان 11

احمد فؤاد نجم يفوز بجائزة كلاوس للثقافة

الطريق الثقافي- خاص

أعلنت مؤسسة الأمير كلاوس للثقافة والتنمية منح الشاعر المصري أحمد فؤاد نجم الجائزة الكبرى للثقافة لعام 2013، تقديرا لأشعاره العامية التي ألهمت أجيالاً متعاقبة من المصريين والعرب. وذكرت اللجنة المانحة التي تعلن عن الفائزين بجوائزها في شهر أيلول/ سبتمبر من كل عام، وهو عيد ميلاد الأمير الهولندي كلاوس زوج الملكة بياتركس، أنه تم تكريم الشاعر نجم لإبداعاته الشعرية التي ألهمت الشارع المصري والعربي بنفس التحرر وصارت كلماته تردد على ألسن المطالبين بالحرية والعدالة الاجتماعية. وقال الأمير كونستانتاين، ابن الأمير الراحل كلاوس، إن اللجنة اختارت أحمد فؤاد نجم للطابع النقدي في قصائده، ومواجهته الأنظمة الاستبدادية والنخب التي تعيش في أحضانها بشعره، وكفاحه الدؤوب من أجل العدالة والحرية.

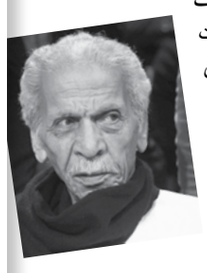

وتمنح جائزة كلاوس سنوياً منذ العام 1997 للفنانين والمفكرين والمنظمات الثقافية من دول العالم الثالث.
وسبق أن فاز بهذه الجائزة الدولية الشاعر الفلسطيني الراحل محمود درويش والمفكر السوري صادق جلال العظم والرسام السوداني إبراهيم الصلحي والكاتب المسرحي المصري لينين الرملي وعدد آخر من المبدعين العرب.

موراكامي المرشح الأوفر حظا لجائزة نوبل للاداب

الطريق الثقافي- خاص

مع اقتراب شهر اكتوبر، موعد الاعلان الرسمي للفائز بجائزة نوبل للاداب، تزايدت التكهنات بشأن من سيفوز بهذه الجائزة هذا العام. وكما كان متوقعا، فان الكاتب الياباني هاروكي موراكامي يحظى بحظوظ اكبر بنحو ثلث مجمل حظوظ الاخرين ليتصدر بذلك قائمة المرشحين للفوز بجائزة نوبل للاداب هذا العام.

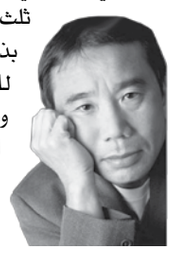

ويتمتع جويس كرول اوتس الكاتب الامريكي في هذه القائمة بحظوظ بنسبة واحد على ستة لقصصه القصيرة ورواياته. ويأتي بعده بيتر ناداس الهنغاري بنسبة واحد على سبعة. ويحظى كو ان بنسبة واحد على عشرة واليس مونرو بواحد على أثني عشر. بينما يحظى كل من الشاعر السوري ادونيس والكاتبة الجزائرية اسيا جبار بنسبة واحد على أربعة عشر، ليأتي بعدهما كل من الكاتب عاموس اوز وفيليب روث وتوماس بينتشون.

جائزة الناشرين في اسبانيا للروائي ماريو فارغاس يوسا

الطريق الثقافي- خاص

حصل الكاتب البيروي الشهير ماريو فارغاس يوسا على جائزة انطونيو سانتشا السابعة عشر للناشرين في اسبانيا، التي تمنح سنوياً من قبل هيئة الناشرين في مدريد.

وذكرت لجنة التحكيم بهذا الصدد بأن الجائزة منحت لهذا الكاتب بسبب موهبته وإبداعه وجهده ومثابرته من أجل ترويج وإشاعة الثقافة واللغة الاسبانية. كما أعتبرت لجنة الناشرين في مدريد فارغاس يوسا روائياً كبيراً ومجسداً للعاطفة الحقيقية في عالم الكتاب والادب.
وأضافت اللجنة بأن الرواية الاولى لفارغاس يوسا والتي كانت بعنوان "المدينة والكلاب" هي من الروايات الاكثر تأثيراً في أمريكا الجنوبية، كما وضعت رواية "حفل الماعز"، التي تم التنويه عنها مؤخراً كأفضل الروايات الاسبانية في القرن الحادي والعشرين، فعلى قائمة الفهرس الخاص بحوالي 1001 كتاب تجدر مطالعته الحتمية.
ولد خورخي ماريو بيدرو فارغاس يوسا في العام 1936 في مدينة راكيبا البيروية. وحصل في مشواره الادبي على جوائز عديدة، على رأسها جائزة نوبل للأدب للعام 2010.

كيف تحدى فنانو الغرافيك الحائطي التشيليون ديكتاتورية بينوشيه؟

الألوان والفرشاة ضد المدافع الرشاشة

الطريق الثقافي- خاص

تغطي جدار المركز الثقافي الرئيس في العاصمة التشيلية سانتياغو بأكمله لوحة جدارية كبيرة تمتد لأكثر من 25 متر وبارتفاع 3 أمتار، وبشكل ملفت بألوانها الزاهية التي تجسد مجموعة من عمال المناجم والطلبة والصيّادين باوضاع ثورية وهم يحملون الشعارات والأعلام الحمر واللافتات الكبيرة، في رمزية جميلة لبواكير ثورة الشعب ضد نظام الطاغية بينوشيه،

إلى الأسفل انحداراً صوب مقر نقابة العمال الرئيسة تزين جدارية أخرى الجدران الكبيرة مجسدة تاريخ الحركة العمالية التشيلية وموشاة أيضا بالأعلام الحمر والأعلام التشيلية الوطنية. وأينما حللت في العاصمة سانتياغو تطالعك الجداريات الملوّنة التي تحتل جدران البنايات ومقرات النقابات والمسارح، كذلك هو المر في تشيلي كلها في الحقيقة. هذه الظاهرة الملفتة تقف وراءها تجمعات فنية متعددة الأساليب والتوجهات لكنها مرتبطة بمنظمة رئيسة تسمى "بريجادا رامونا بارا BRP" الناشطة في أغلب مدن أميركا اللاتينية وليس في تشيلي وحسب، والمتخصصة في دعم وتنظيم أعمال فناني الكرافيك الحائطي التشيليين المنتشرين بشكل ملفت في شوارع العاصمة والبلدات الأخرى.

نرسم ضد الديكتاتورية حتى نصل السماء

تأسست تلك المنظمة في العام 1968 على يد مجموعة من الشباب الشيوعيين التشيليين، وأخذت اسمها من رامونا بارا، وهي فتاة شيوعية لم تتجاوز الـ 19 عاماً من العمر أعدمت بالرصاص على يد الشرطة أثناء الاحتجاجات التي جرت في العام 1946 .

وبروح ثورية وشجاعة منقطعة النظير، خرج أعضاء ومؤسسو الجمعية أواخر العام 1960 إلى شوارع العاصمة وهم يحملون جرادل الطلاء واللوان والفراشي ليجسدوا الجداريات العملاقة ذات المضامين الثورية، ليس كوسيلة لبعث الحياة في الجدران الكالحة فقط، بل ليحولوها إلى وسيلة فاعلة للتحريض على التغيير الأجتماعي وبث روح الثورة، وكتعبير عن روح المقاومة والاحتجاج ضد الديكتاتورية. ويعتقد الكثيرون أنها كانت بالفعل أحد الأسباب المهمة التي اوصلت آخر المطاف سيلفادور الليندي إلى قصر الرئاسة في العام 1970.

وفي العام 1973 وفي اعقاب الأنقلاب المشؤوم الذي قام به الجنرال أوغستو بينوشيه على الرئيس اليساري المنتخب، وانتشار أعمال العنف والتنكيل بالنقابات والاتحادات الطلابية وحل الحزب الشيوعي التشيلي، دفع أعضاء "رامونا بارا" ثمناً غالياً، وجرى التنكيل بهم وقتل الكثير منهم كما نفي أبرز ناشطيهم إلى الخارج، وأعادت السلطات الديكتاتورية طلاء الجدران التي كانت توشحها الجداريات الثورية بالألوان البشعة. ونتيجة لذلك أضطرت الجمعية للنزول تحت الأرض واعتماد أسلوب العمل السري، من دون أن تتخلى عن سلاحها الفاعل والمجرب، ألا وهو الجداريات الملوّنة كتحد للديكتاتورية.

كان رسامو "رامونا بارا" يخرجون بفرق صغيرة تحت جنح الظلام ليرسموا رموزهم بشكل عاجل على الجدران قبل أن يفروا متفرقين قبل أن تداهمهم الشرطة، وكانت الجداريات في هذه الفترة تعتمد أسلوب التكثيف والاختزال الذي أملته السرعة وضيق الوقت، فكانت سانتياغو تصحو في الصباح لتجد جدرانها موشاة بشعر الجمعية الكبير، دائة حمراء كبيرة تتوسطها نجمة خماسية، وترمز الدائرة للوحدة التشيلية بينما ترمز النجمة لجمعية "رامونا بارا".

تلك الجداريات تحكي قصة النضال المرير الذي خاضه أعضاء الجمعية من رسامي الكرافيك الشجعان ضد جلاوزة بينوشيه آنذاك، وغالباً ما يسمع السكان النائمون أصوات وقائع الكر والفر بين الرسامين والشرطة في الشوارع، حيث كانوا ينطمون عملهم بطريقة المناوبة، فيعكف أثنان منهم على الرسم بينما يتولى أثنان آخران المراقبة في عطفة الشارع، وغالباً مايتولى عملية المراقبة الفتياة اللواتي غالباً ما يبرقعن الشرطة بجرادل الطلاء الرخيص قبل أن يلذن بالفراؤ، أو يختبأن في أحد البيوت القريبة التي يتعاطف سكانها معهن.

كانت حرب الشوارع الليلية تلك تستمر لأسابيع، وفي الصباح تأتي فرق خصصتها السلطات لأعادة طلاء الجدران من جديد لأخفاء الرموز الثورية، لكن ما أن يجف الطلاء حتى تبرز رموز وجداريات جديدة وهكذا دواليك.

ومع عودة الديمقراطية للبلاد في العام 1990، خرجت "رامونا بارا" من مخبأها من جديد، لتعود الجداريات الثورية الملوّنة تطرز جدران سانتياغو، ولتنتشر من هناك إلى أغلب بلدان أميركا اللاتينية، بل وحتى إلى مناطق بعيدة في العالم مثل بلجيكا وهولندا وألمانيا وإيرلندا وغيرها من البلدان. وتتناول الجداريات اليوم قضايا معاصرة، مثل نصرة حقوق العمال وحقوق السكان الأصليين والحملة من أجل أصلاح التعليم وغيرها من القضايا السياسية والاجتماعية الأخرى.

في الحادي عشر من الشهر الجاري أحتفلت تشيلي بالذكرى الأربعين للانقلاب الأسود، كان رامون ترالما، أحد مؤسسي جمعية "رامونا بارا"، في السادسة والعشرين من العمر آنذاك، يقول متحدثا عن أيام النضال تلك:

"كنا نخرج إلى الشوراع ونتجاذب أطراف الحديث مع الجنود المدججين بالأسلحة وهم يقفون في الشوارع وأمام جدارياتنا التي رسمناها بالأمس قبل أن تطلى باللون الأسود، كانو جنوداً بسطاء لا يعرفون ما الذي يجري بالضبط، وكان اغلبهم يتعاطف معنا ويلتقطون الصور أمام تلك الجداريات، لكن عندما بدأت الجثث تملأ شوارع سانتياغو والطائرات تقصف القصر الرئاسي، أدركنا جميعاً، نحن أعضاء الجمعية والجنود أيضاً، فداحة الأمر الذي خرج عن نطاق السيطرة، فاستسلموا هم للأوامر الصارمة ونزلنا نحن تحت الأرض لنقرر طريقة وأسلوب عملنا في ظل الأوضاع الجديدة والمرعبة.

ويضيف رامون، "كاد يحصل انشقاق مؤلم في صفوف الأعضاء، بعد أن قرر البعض منا، وأنا منهم، أيقاف العمل واللجوء إلى بيوت آمنه بعيداً عن أنظار السلطات القمعية التي لم تكن تتوانى عن البطش بكل من يرفع صوته ضد الانقلاب، وكنت مندفعاً بواجب الحرص على حياة الرسامين الشباب والشابات من أعضاء الجمعية، لكن الكثير من الأعضاء، وعلى رأسهم الشيوعيين قرروا ببسالة مواصلة العمل تحت جنح الظلام وعدم أعطاء فرصة للأنقلابيين ليلتقطوا أنفاسهم، فما كان منا إلا الاستسلام لرغبتهم الثورية المحفوفة بالمخاطر".

وهكذا اندلعت حرب الجداريات في سانتياغو لتسطر أروع الملاحم البطولية، واليوم تتداول الأجيال قصص السلاح المجرب، سلاح اللوان والفراشي في مواجهة المدافع الرشاشة والبطش، وفي نهاية المطاف فرّ السيّد رامون ترالما إلى الأرجنتين كلاجئ سياسي، وسقط العشرات من رسامي "رامونا بارا" وهم في عمر الزهور، لكن جداریاتهم الخالدة ظلت تطرز جدران المدن والبلدات التشيلية في تجربة فريدة ومثيرةرفع لها العالم كله قبعته احتراماً.

رامونا بارا: ترسم ضد الدكتاتورية حتى نصل إلى السماء

بريجادا رامونا بارا BRP، منظمة تشيليلة خاصّة برسامي الجداريات الكرافيكية تأسست في العاصمة سانتياغو في العام 1940، أثناء واحدة من أسوأ فترات الحياة السياسية التشيلية، في أعقاب الأضراب العام الذي اعلنته النقابات العمالية واتحادات الطلبة في البلاد، لتحوّل فن الكرافيك الحائطي إلى وسيلة شعبية ساحقة التأثير.

واخذت المنظمة أسمها من أسم رسامة تشيلية شابة تدعى "رامونا بارا" أعدمت رمياً بالرصاص لأنها كانت عضواً في عصبة الشبيبة الشيوعية JJCC، لتتحول إلى رمز للنضال ضد الظلم في تشيلي.

حملت هذه الحركة الفنية الجريئة لواء المقاومة الثورية وملأت الجدران بالرسومات والشعارت النارية.

تلقت المنظمة ضربة قاسية في العام 1973. عندما أطاح الجيش الفاشي بحكومة سلفادور الليندي الديمقراطية.

وفي منتصف العام 1980 بدأت الجداريات تظهر من جديد عل أيدي جيل جديد من الفنانين الشباب المتأثرين بثورية أسلافهم من فناني الـ"رامونا بارا" الخالدين.

واليوم يقدّر الملايين تلك الأعمال الشعبية الزاهية المختلطة بدماء رساميها، وهي تجسد بأبعاد عملاقة قصة نضال الشعب التشيلي وكفاحه ضد الديكتاتورية البغيضة.

منح وسام ناركاتسي الارميني إلى يشار كمال

الطريق الثقافي- خاص

قررت وزارة الثقافة الارمينية، في خطوة ملفتة، منح وسام غريغور ناركاتسي للروائي التركي الشهير يشار كمال.
ويحمل الوسام أسم الشاعر الأرميني ذائع الصيت غريغور ناكارتسي الذي يعد من اهم الشعراء الأرمينيين في القرون الوسطى، في حين يعد كتابه "نرك" مفخرة الادب الارميني العريق واحد ابرز الاعمال الادبية الدينية المسيحية. وهي أكبر صحيفة مقدسة للكنيسة الارمينية.

ويمنح وسام غريغور ناكارتسي الى الكتّاب والفنانين والمثقفين الذين يعملون من اجل حفظ وترويج الثقافة الارمينية.
ويعرف يشار كمال في تركيا والعالم بانه كاتب محب للبشرية والسلام. ويبدي حساسية ليس تجاه تركيا فحسب بل تجاه جميع الاحداث المضطربة التي تقع في العالم المحيط به ويرسل دائما رسائل سلام وصداقة.

اليونسكو ترمم المتاحف التي تضررت في مصر

الطريق الثقافي- خاص

أعلن مسؤول في منظمة يونسكو الأسبوع الماضي في القاهرة أنه سيعد تقريرا مفصلا عن كنائس تاريخية ومتاحف مصرية تعرضت الشهر الماضي لأعمال تخريب تمهيدا لإسهام اليونسكو في ترميمها وإعادتها إلى ما كانت عليه. وتعرضت عشرات الكنائس التاريخية، ومتحف ملوي في محافظة المنيا الجنوبية، قبل نحو شهر لتخريب وتدمير على أيدي "متطرفين" عقب فض قوات الأمن المصرية اعتصامين بالقاهرة والجيزة لمؤيدي الرئيس المخلوع محمد مرسي. وأدان المجلس الدولي للمتاحف (آيكوم) واليونسكو أعمال التخريب التي أتت على أغلب محتويات متحف ملوي وعددها نحو 1090 قطعة أثرية استعيد ما يقرب من نصفها بمبادرات من الأهالي. وقالت وزارة الدولة لشؤون الآثار في بيان إن الوزير محمد إبراهيم استقبل مؤخراً بيير لابلود الخبير المعماري المفوض من قبل اليونسكو "لتقييم حالة الكنائس التاريخية ومتحف ملوي الذى تعرض للاعتداءات من قبل بعض الجماعات المتطرفة... لإعداد تقرير مفصل لرفعه إلى مسئولي المنظمة الدولية".

رسائل جورج أوريل في كتاب

الطريق الثقافي- وكالات

رغم إعلانه فى مطلع حياته عن رفضه فكرة كتابة المذكرات أو السير الذاتية على طريقة عدد من الكتاب والمفكرين الأوائل، رحل جورج أوريل ولم يترك أية مذكرات، لكن ما تركه من رسائل إلى أقرانه من المبدعين والسياسيين كان إرثا ومادة خصبة للكاتب بيتر ديفيسون ليكتب عن أوريل مذكراته نيابة عنه.
المذكرات التى حملت عنوان "حياة في الرسائل" والصادرة عن دار أمازون تروى الأحداث الدرامية المضطربة التى كان يعيشها جورج أوريل، تلك الرسائل التي من شأنها التأثير فى أجيال من الكتاب والمثقفين وتوفر فرصة للإطلاع على حياة أوريل الشخصية والإبداعية.

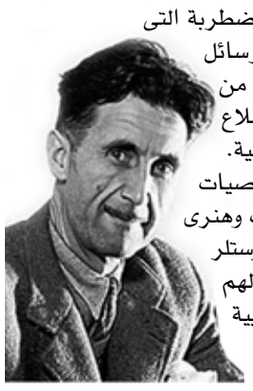

راسل أوريل المئات من الشخصيات السياسية والفنية، من أمثال إليوت وهنرى ميللروستيفن سبندر وآرثر كوستلر وسيريل كونولى وغيرهم، ليروي لهم آلامه العاطفية ومعتقداته الأدبية والفلسفية.

إحياء ذكرى ابن خلدون في ندوة دولية بإسطنبول

الطريق الثقافي- خاص

تستضيف مدينة إسطنبول التركية أواخر الشهر الحالى ندوة دولية تتناول حياة العالم العربى ابن خلدون وأعماله ومؤلفاته، ويحاضر فيها نخبة من أبرز الأكاديميين والكتاب والمؤرخين والباحثين وعلماء السياسة والاجتماع من تركيا والجزائر ومصر والإمارات العربية المتحدة وسوريا والكويت والمغرب والهند وماليزيا ورومانيا.

أبو ريحان البيروني وكروية الأرض

ضوء

يعد ابوريحان البيروني (362 ـ 440 للهجرة) عالم فيزياء ورياضيات وفلك وشخصية فذة وفريدة في العالم منذ القرن التاسع عشر حتى الان. ألف 143 كتابا. وكان ملما بعلوم زمانه وعمل في جميع الميادين العلمية. وكان اول من آمن بان الارض كروية. واعتمد بستة قرون قبل البريطاني فرنسيس بيكون اسلوب التبيان العلمي على اساس الاستقراء. ومن البحوث والاعمال العلمية للبيروني والتي مازالت في المتناول يمكن الاشارة الى الاسطرلاب والسدس والتحديد والكثافة والظلال والاوتار وقرة الزيجات والقانون والممرات والجماهير والصيدنة وغيرها.

الوعي الملتبس

إشكاليات المثقف العراقي.. الممنوع والممتنع

ثامر عباس

المثقف العراقي؛ هلامية التعريف وزئبقية التوصيف: إذا كان من الصعوبة بمكان تعريف مفهوم (الثقافة) وحصر دلالاته في مجموعة من العناصر الملموسة والخصائص المدركة، على خلفية تباين المستويات الحضارية للشعوب التي تنتج أنماطه، واختلاف السياقات التاريخية للمجتمعات التي تشكّل طبيعته، وتنوع التجارب الإنسانية للأمم التي تكوّن خصائصه.

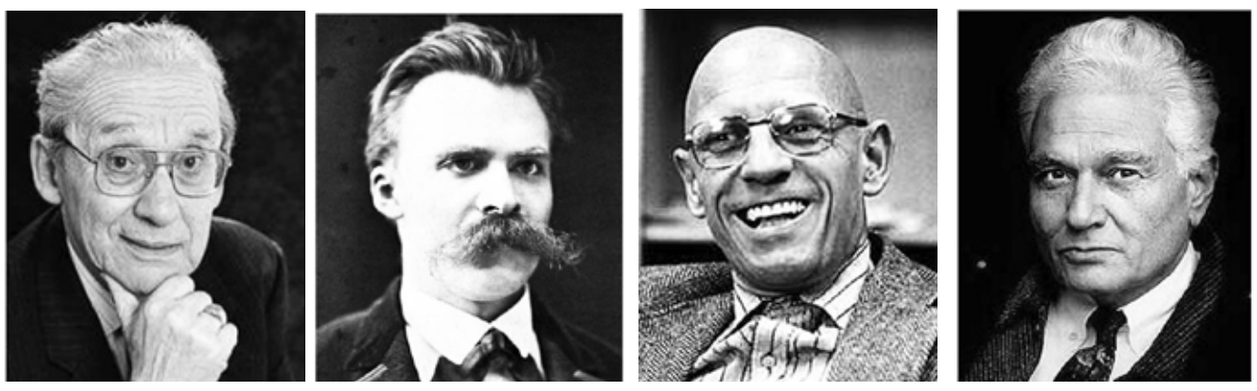

جارك دريدا — ميشيل فوكو — فريدريك نيتشه — بول ريكور

إن تحديد ماهية (المثقف) وتأطير المعايير التي تفصح عن دوره في التغيير، وتأشير المقاييس التي تشي عن وظيفته في التنوير. تبدو أكثر صعوبة وأبعد عن المنال، لاسيما وانه كائن نوعي وموجود استثنائي يعيش في بيئة اجتماعية تتقاطع فيها المصالح وتتصارع حولها الإرادات وتتنازع عليها العلاقات، هذا بالإضافة إلى كونه يحمل من النوازع النفسية الدفينة والدوافع الرمزية العميقة، ما لا يمكن ضبط أوآلياته وتقنين اتجاهاته وتشخيص تطلعاته. وإذا كان مرجحا"أن تكون هذه الصعوبات وتلك المعوقات رفيقة درب أي بحث أو دراسة، تستهدف الإحاطة بمقام الثقافة والإلمام بمفهوم المثقف على وجه العموم، فما بالك حين يكون المقصود في هذه البحوث والمراد في تلك الدراسات اكتناه طبيعة الأول وماهية الثاني، من منطلق استلهام تجربة المجتمع العراقي المخترق في وعيه والمستباح في وجوده على وجه الخصوص ؟!. ولعل هناك من يعترض علينا – وله الحق في ذلك – بالقول انه وان كان مشروعا"الادعاء بان مفهوم الثقافة يختلف من مجتمع لآخر، وان مفهوم المثقف يتباين من شعب لآخر، إلاّ إن ذلك لا يعدّ مؤشرا"يمكن الاعتماد عليه والاحتكام إليه، لجهة الزعم بفرادة نمط الثقافة العراقية وندرة شخصية المثقف العراقي، لاسيما وان هناك شبه إجماع بين النظريات السوسيولوجية والفكريات الانثروبولوجية، حول الخصائص العامة للثقافة والمعايير المشتركة للمثقف. والحقيقة انه لا ريب من الاعتراف بأن الجهود الحثيثة والمحاولات المتواصلة، التي بذلتها وتبذلها النخبة من كبار العلماء والمفكرين الذين شغلت اهتماماتهم واستحوذت على نشاطاتهم شتى ميادين العلوم الاجتماعية والإنسانية، تمخضت عن صياغة مجموعة من المقاييس المادية والمعايير الرمزية، التي يمكن من خلالها الاستدلال على ؛ ما هي الثقافة ومن هو المثقف. بيد الأمور في هذا الحقل الشائك والمعقد لا تجري على هذا المنوال في كل الظروف، ولا تتخذ هذا المسار في جميع الحالات، إذ إن لكل قاعدة شواذ كما يقال. فإذا كان مجال الطبيعة يحتمل حصول الخرق للقواعد والانتهاك للقوانين، فانه من باب أولى أن يكون المجتمع هدفا"أكثر جذبا"لوقوع تلك الاحتمالات وحصول تلك التوقعات. ليس فقط لأن ظواهر الأولى تتموضع بين حدي الضرورة الحتمية والصدفة الاحتمالية، وان الثاني يقع على خط صدع؛ الثقافات المتعددة، والحضارات المتنوعة، والرمزيات المتنوعة، والإرادات المتباينة. وإنما لأن شاغل الأولى (الطبيعة) هو الكوسمولوجيا/ الوجود الموضوعي، حيث يقبع اللامرئي والمفارق والأزلي، في حين إن اهتمام الثاني (المجتمع) هو السوسيولوجيا/ الموجود الذاتي، حيث تنتج الأساطير ويصنع التاريخ ويبتدع الدين وتتشكل الهوية. هذا من جانب، أما من جانب ثان، فان طبيعة المجتمع العراقي لا تشبه أحدا"من المجتمعات القريبة أو البعيدة ؛ إن لجهة مواريثه الأسطورية وخلفياته التاريخية ومرجعياته الدينية، أو لجهة خصوصياته الرمزية وأنماطه الثقافية وانحداراته الفولكلورية. بحيث يشكل – إن صح التعبير – خلطة نادرة من العناصر المتنافرة وسبيكة عجيبة من المكونات المتنابذة، يصعب – إن لم يكن مستحيلا"– معرفة نوابض سيكولوجيته والاهتداء إلى مفاتيح شخصيته، ما لم يكشف النقاب عن تلك الجذور، لكي يصار إلى تحليلها وغربلتها ومن ثم نقدها وتقييمها. وعلى الرغم من تجربة اهتمامي المتواضعة بالبحث عن ماهية الثقافة العراقية والتنقيب عن كينونة المثقف العراقي، عبر ركام التطرف الديني وحطام العنف الاجتماعي لفترة ما بعد الاحتلال الأمريكي، فقد أدركت بأني لا أعرف كيف أصنف طبيعة الأولى (الثقافة)، ولا أستطيع أن أصف شخصية الثاني (المثقف)، وبالتالي فاني أتطلع إلى من يمتلك المقدرة اللازمة ويتحلى بالموهبة الكفيلة بحل ألغاز هذه وفك طلاسم ذاك. ولكني أهيب – في الآن ذاته – بمن يتصدى لهذه المهمة العسيرة، بلّه المستحيلة، أن يبتعد قدر الإمكان عن الاتكاء على مزاعم ؛ إن الثقافة والمثقف العراقيين يحتكمان إلى أسس ومنطلقات قلما تمتعت بها ثقافة أو حظي بهما مثقف، والتي تتمثل بعراقة الحضارة وقدامة التاريخ وقداسة الدين. ذلك لأن هذه الخطابة وان كانت صحيحة من واقع التنظير الانثروبولوجي والتحقيب الكرنولوجي (الماضي)، فهي من منظور الواقع السوسيولوجي المعاش والتجربة السياسية الملموسة (الحاضر) باتت مستهلكة وعديمة الجدوى كليا"، مستوحين بذلك ما قاله الحجاج بن يوسف الثقفي: إن الفتى من قال ها أنا ذا... ليس الفتى من يقول كان أبي. (هناك من يكتبه ويقرأه بعكس ذلك). وعلى أساس ما تقدم فان مساعي الوصول إلى تعريف محدد لما يعنيه مفهوم (المثقف العراقي)، ستبقى محاولات افتراضية ومساهمات تخمينية لا ترقى لحدود الواقعية، طالما انه يتصف بالهلامية الثقافية والزئبقية المعرفية، على خلفية احتكامه إلى مصادر وعيه الملتبس والتزامه بمقومات خطابه المؤدلج !.

محاولات تعريف المثقف العراقي تخمينية افتراضية

الذهنيات التقليدية والمنهجيات النقدية

ليس هناك من بين شريحة النخبة العراقية بكل مستوياتها الثقافية وتوجهاتها السياسية (أكاديميون، سياسيون، رجال دين، كتاب وإعلاميون) من لم يجاهر بانتمائه لآخر صيحات الفكريات النقدية، أو يفاخر بتبنيه لأحدث صرعات المنهجيات التفكيكية. فالكل – هؤلاء وأولئك – منخرطون في مشاريع التحرر السياسي والتغير الاجتماعي والتنوير الثقافي والتثوير الديني، بحيث لم يبقى – وفقا"لهذه الحيثيات – أمام المجتمع العراقي سوى أن يشرع بقطاف سنين صبره العجاف، ويحصد ثمرة عقود معاناته الممضّة. ولكن الأمر في واقع الحال لا يخرج – رغم كل الصخب والضجيج – عن نطاق المزايدات الخطابية/ الإعلامية، والسجالات السياسية/ الحزبية، والمنافكات الدينية/ الطائفية، والمضاربات العقائدية / الإيديولوجية. للحدّ الذي إن تعبير (الشخصية المزدوجة) الذي نحت عبارته وصك دلالته العلامة العراقي الراحل (علي الوردي)، بات ينطبق عليهم تمام الانطباق، لاسيما في صيغته التهكمية التي أفصح عن مضمونها بالمعنى التالي ؛ إن الإنسان العراقي على صعيد الأقوال والادعاءات والمزاعم (المظهر الخارجي) تلفاه يتقمص شخصية (جيمس بوند)، ولكن ما أن تضعه الظروف في موقف حدي يتطلب المواجهة الجدية، من حيث الأفعال والممارسات والمواقف، حتى يرتد إلى مرابض شخصية (حاج عليوي). والحال إن هذه الحالة الإشكالية التي لم تبرح ترافق شخصية المثقف العراقي كما لو كانت ظله وتوأمه السيامي، تتمثل بالهوة السحيقة القائمة بين طبيعة الذهنية التقليدية المعبأة؛ بشتى ضروب الهوامات الأسطورية والانفعالات الوجدانية والسلوكيات العدوانية من جهة، وبين طابع المنهجيات الحديثة والمستحدثة التي تستلزم – من جملة ما تستلزم – ليس فقط ضرورة الانفتاح على الجديد من النظريات الحداثية، والانزياح عن القديم من الاعتقادات النمطية فحسب، وإنما وضع كل خزين الوعي الجمعي وموروث الثقافة الوطنية، تحت وابل من سهام النقد المنهجي والمساءلة المعرفية، ومن ثم إجراء تصفية حساب جذرية لكل ما علق في الذاكرة من أكاذيب تاريخية، ولكل ما تراكم في السيكولوجيا من أوهام دينية.

ولهذا لن تجد أحدا"من فرسان نخبتنا لا يرطن بتفكيكية (جاك دريدا)، أو يهذي بأركيولوجيا (ميشيل فوكو)، أو يتبجح بجينالوجيا (فردريك نيتشه)، أو يتباهى بهرمينوطيقا (بول ريكور)، أو بتفاخر بتاريخيات (جاك لوغوف)، أو يتمنطق بفلسفة (جيل دولوز)، أو يتحذلق بتحليلية (سيغموند فرويد) الخ. هذا في الوقت الذي تحرص فيه الغالبية منهم أشدّ الحرص على؛ أشباح تاريخه، وأساطير دينه، وخرافات مذهبه، وأصنام قوميته، وأوثان قبيلته، كما لو أنه لا زال يعيش في عصر الدينصورات. ولآجل أن نوضح هول مصائبنا التي فاقت فجيعتها كل تصور وتخطت فداحتها كل توقع، فان كل هذه الزلازل السياسية العنيفة والنوازل الاجتماعية المدمرة، لم تتمكن من إيقاظ المثقف من سباته الذي طال أمده، كما لم تستطع إنهاض الثقافة من رقادها الذي تقادم عليه الزمن. بحيث استمر خطابنا الثقافي يهجو السلطة دون أن ينظر إلى عيوبه البنيوية، ويلعن النظام دون أن يلتفت إلى مآخذه المناقبية، ويدين الدولة دون أن يتطلع إلى عطالته المعرفية.

ذلك لأن الإصرار على التمسك بالانتماءات الهامشية، والمراهنة على الولاءات التحتية، والتعويل على الثقافات الفرعية، في الوقت الذي تنتهك كرامة الوطن وتستباح حياة المواطن، لا يعد فقط خيانة كبرى للثوابت الوطنية والقومية فحسب، وإنما جريمة بحق القيم الدينية والمبادئ الإنسانية أيضا". ومهما يكن النقد الموجه (للخطاب الثقافي) شديدا"في لهجته ولاذعا"في نبرته وقاسيا"في تعريته، فان الغاية المتوخاة منه ستذهب أدراج الرياح، وان الهدف المعوّل عليه سيتلاشى كما الصرخة في واد، ما لم يكن مستهدفا"ركائز (بنية الوعي) الذي يقوم عليها وينطلق منها ويحتكم إليها ذلك الخطاب، من منطلق إن الداء العضال الذي ينخر كيان هذا المجتمع يكمن في البنية لا في الخطاب، ويربض في بطانة السيكولوجيا لا في حضانة الايديولوجيا. وهكذا فان المهمة المصيرية العاجلة الملقاة على عاتق كل من يهمه أمر هذا الوطن ويعزّ عليه شأن هذا المجتمع، تتمثل بالبحث الجدي عن كل ما من شأنه فتح كوة في نسيج بنية الوعي الاجتماعي المتكلس، ليس فقط لكسر الأنساق المغلقة واختراق المنظومات الراكدة فحسب، وإنما لحمل عناصر تلك البنية (أفكار، تصورات، تمثلات) على طرد أوهامها عن التاريخ، ونبذ أباطيلها عن الدين،

واستبعاد خرافاتها عن الثقافة، وبالتالي حملها على قبول المخالف من الفكريات التحليلية، والمغاير من المنهجيات النقدية، والمباين من الفلسفات التأويلية. ولعل فشل العديد من تجارب التحديث للعقل السياسي العراقي، وإخفاق الكثير من مشاريع التنمية الحضارية للمجتمع المدني العراقي، كفيلة بإثبات إن الأولويات والأسبقيات التي كان يفترض أن توجه صوب بناء الشخصية العراقية (من الداخل)، قبل أن تشرع بالاعمار (من الخارج)، وهو ما استتبع أن نحصد تفاقم الأزمات السياسية وتعاظم الانهيارات الاجتماعية وتراكم المعاناة النفسية، طيلة عقود القرن الماضي والعقد الأول من الألفية الثانية. أي بمعنى أنه ينبغي البدء ببناء الأسس الروحية والأخلاقية والثقافية للإنسان، قبل الشروع بإنشاء المؤسسات السياسية، وتقديم الخدمات الاجتماعية، وإقامة المشاريع الاقتصادية، التي تعنى بأساليب قياده وإجراءات ضبطه وسبل تغذيته. لاسيما وان هذه الأخيرة قد أسهمت، كل بطريقتها الخاصة وإمكاناتها الذاتية، ليس فقط بتخريب ما كان قائما"في وجدانه من قيم نبيلة ومبادئ سامية ومثل عليا، استطاعت أن تحفظ له توازنه النفسي وتآلفه الاجتماعي وتآزره الديني وتواصله الإنساني، عبر أواليات المجايلة التاريخية والمثاقفة الحضارية والملاقحة الرمزية فحسب، بل وتجريف وتحريف كل ما كان يحاول الإبقاء عليه ناشطا"في ذهنياته / تصوراته وفاعلا"في سلوكياته / علاقاته ؛ من رصيد إنساني لعاداته، وخزين أخلاقي لتواضعاته، ومأثور عقلاني لأعرافه. ونحن إذ نوجّه أصابع الاتهام نحو العيوب المعرفية والمثالب المنهجية لخطاب النخبة العراقية المثقفة ؛ بسبب ركونه إلى التقليدية في التصور للأمور الساخنة، وانعطافه إلى الانتقائية في الطرح للقضايا الإشكالية، وتطلعه إلى الطوباوية في العلاج للأوضاع المتأزمة. فان هذا لا يعني إن واقع المجتمع العراقي لم ينتج قامات فكرية وثقافية شامخة، ممن أثروا رحاب الثقافة وأغنوا منار الفكر العراقي والعربي على مدى عقود طويلة من الزمن، برغم كل ما شهده تاريخ العراق الحديث والمعاصر من حروب خارجية وصراعات داخلية حجمت تطوره وأخرت نهوضه. إلاّ إن جهودهم وإسهاماتهم – وللأسف الشديد – حوصرت بقسوة وحوربت بضراوة من قبل جهّال السياسات وعيال السلطات، لا لعيب في ولائهم الوطني أو شك في انتمائهم العراقي أو مأخذ في مستواهم العلمي، وإنما لطريقة تفكيرهم في تأويل الواقع وأسلوب تنظيرهم في تحليل المجتمع، بحيث خالفوا المألوف من التصورات عن الأول، وعارضوا المعروف من الديناميات عن الثاني. وهو الأمر الذي عزز – بالتقادم والتراكم – حظوظ العقليات المبتسرة والذهنيات التقليدية والمنهجيات البدائية، التي ألزمت خطابنا الثقافي أن يكون الناطق المطيع باسمها، والمرآة العاكسة لقيمها، والأداة المنفذة لنوازعها. ولكي تتمكن بنية وعينا الاجتماعي من هضم فكريات النهضة ومنهجيات التنوير – دع عنك الحداثة وما بعد الحداثة – فهي عاجزة بذاتها عن إحداث مثل هذه النقلة النوعية، وقاصرة بنفسها عن إجراء مثل تلك القطيعة المعرفية، ما لم تهيئ مسبقا"لتلقي الصدمات القوية في مسلماتها الراسخة، والرجّات العنيفة في بديهياتها القارة، والهزّات المقلقة في يقينياتها الثابتة. وهو ما يمكن أن تقدمه في هذا المجال المنهجيات الحديثة، التي غزت حقول العلوم الاجتماعية وميادين نظيرها الإنسانية، ليس فقط كونها حطمت أوثان السرديات المؤمثلة، وأزاحت أصنام الإيديولوجيات المؤلهة، وأسقطت ادعاءات المركزيات المتعالية، واخترقت حجب النصيات المغلقة فحسب، وإنما – وهنا المفارقة – أعادت الاعتبار لثقافات الشعوب المهملة، وحظّت على مراعاة اعتقادات المجتمعات المنسية، وشجّعت على ضرورة قراءة تواريخ الأمم المقصية.هذا بالإضافة إلى أنها دعت لانتهاج طريقة جديدة في تحديد الأدوار وتقييم الوظائف ؛ ما بين السياسات والإرادات، ما بين السلوكيات والذهنيات، ما بين التاريخيات والأسطوريات، ما بين السيكولوجيات والسوسيولوجيات، ما بين الجزئيات والكليات، ما بين الفرعيات الشموليات، ما بين الهويات والشخصيات، ما بين الخرافات والثقافات، ما بين الحاضرات والحضارات، ما بين الجغرافيات والديموغرافيات، ما بين المقدسات والمدنسات. ومن منظور بنية وعينا المهووس بالقديم والمهجوس بالتراث، فان تلك الخصائص والمواصفات لا تعتبر حاجزا"أو مانعا"يحول دون التعاطي الايجابي والتعامل المثمر معها، بقدر ما تشكل حافزا"قويا"أو منعطفا"حادا"، بسهّل عليها قبول التغيير في أنماطها والاستجابة للتحول في خياراتها والإذعان للتبديل في توجهاتها. وذلك من منطلق إن بنية الوعي العراقي – وهنا تكمن أحدى الخصائص الفريدة للشخصية العراقية – تتأثر بالإيديولوجيات أكثر مما بالمعرفيات، وتستجيب للتمثلات أكثر مما للواقعيات، وتنصاع للإيحاءات أكثر مما للممارسات، وتهتم بالأسطوريات أكثر مما بالعقلانيات، وتتفاعل مع الشعارات أكثر مما للتطبيقات. ولعل ما يجعل من هذه المحاولة الجسورة – إذا ما توافرت النوايا الصادقة والإرادات الجادة – ليس فقط كونها ضرورة مصيرية لا بديل عنها ولا خيار دونها فحسب، وإنما لواقعية تبنيها (لبيئة نماذجها) وإمكانية الشروع بتنفيذها (استبطان قيمها)، على خلفية إن رموز خطابنا الثقافي استطاعوا وبنجاح أن يتقنوا لغاتها (خطابها) ويهضموا فلسفاتها (مبادئها) ويحسنوا تصنيفها (توجهاتها). بحيث لم بعد أمامنا سوى المباشرة بوضع الأسس وصياغة المنطلقات، التي من شأنها حرث الأرضيات السوسيولوجية لوعينا ولا وعينا، ونبش الخلفيات الانثروبولوجية لمخيالنا وذاكرتنا، وتعرية القيعان السيكولوجية لأساطيرنا وخرافاتنا.

افضل خمسة كتب كلاسيكية

الطريق الثقافي - خاص

يوليسيس او عوليس كما في بعض الترجمات للكاتب الآيرلندي جيمس جويس، وهي واحدة من افضل خمس روايات صدرت عام 1922 من القرن الماضي وربما لقرون مقبلة على الرغم من صعوبتها الواضحة، ولكن لا احد يستطيع ان ينكر تأثيرها على القراء والروائيين من جميع انحاء العالم.

حفلة الحديقة لكاثرين مانسفيلد وهي تحكي من وجهة نظر فتاة مراهقة، حيث يموت عامل بينما الناضجون يتسلون ويلهون. حتى ان القاصة فيرجينيا وولف كتبت في يومياتها بانها تشعر بالغيرة من عمل صديقتها مانسفيلد نظراً للمديح الذي حصلت عليه من خلال تلك القصة القصيرة.

اعمدة الحكمة السبعة لـ تي لورنس و ضابط انكليزي – توماس ادوارد لورنس– او ز يعرفه الجميع بـ «لورنس العرب» صدر ايضا ـ 1922 ووضع فيه لورنس خلاصة تجربته السياسة في إدارة أنظمة دول الشرق الأوسط بعد سقوط الدولة العثمانية، وساهم في قيام الثورة العربية الكبرى. في البداية صدرت منها طبعة محدودة وبإسم مستعار، وسرعان ما اميط اللثام عن شخصيته، لتنشر بعد ذاك باسمه الحقيقي. وهو كتاب فريد من نوعه حول تاريخ الجزيرة العربية.

رواية **الارنب المخملي** عندما تتحول الدمية الى حقيقة لـ الروائية الانكليزية مارجيري وليامز وهي رواية رائعة كتبت للاطفال، بإسلوب أخاذ وساحر.

تحقيقات فلسفية منطقية

للودفيش فيتغنشتاين وهو كتاب صغير الحجم مركز في اسلوبه ويعد ثورة وانقلاباً على الفلسفة الغربية في حينها. وما زال الكتاب يدرس بتمعن وبحماس ليس فقط من قبل الفلاسفة فحسب، بل من قبل كل شخص اسره اسلوب فيتغنشتاين الفريد والمؤثر. يذكرَ ان الكتاب لم يترجم الا مؤخراً من قبل عبد الرازق نور.

أحلام في وضح النهار

فاهم وارد العفريت

تحدث بلغة الجاهلية وأبجدية القبائل الراحلة ، حاول مراراً ان يطيح بكلماته بكل ماهو أمامه من مباديء مازال ينوء بحملها البؤساء من الأغلبية ، وقف مرتدياً قاطه ذي القماش الإنكليزي وربطة العنق العابقة بالعطر الفرنسي مع مجموعة حراسه ذوي الملابس السوداء والنظارات القاتمة الذين جلبهم ليمنعوا عنه اقتراب الاجساد من شخصه وليحموه من لهيب الأسئلة المحرجة التي يطلقها البعض. رنّ هاتفه الجوال فإستله أمام تلك الجموع وكأنه يستل خنجراً يريد ان يهاجم به أحدا ما ، تحت ظلال قصره المنيف الذي بناه في المنطقة المحصنة يغرق كل يوم في اصناف الاكل المنوع الى آخر أصابع يديه ، فهذه الحياة الرغيدة التي يعيشها تستحق المغامرة ، قلبت أصابعه لوحة الكيبورد ومع حركة الماوس على شاشة الكمبيوتر ، حمله التفكير سريعاً نحو الصحراء وديار أهله فيما مضى ، حداء متواصل وكلمات ربما الآن قد غطتها سنوات الإهمال لتبحر في عالم النسيان، إستوقفته كلمة أثارت في داخله نوعا من الفضول وربما الغيض فقلب برأسه حروف كلمة الحرائر ، قال مع نفسه :- إنها تعني الحرية التي ننادي بها الآن ، إستدعى أحد حرسه طالباً منه إحضار معجماً للغة العربية يتحقق بنفسه عن معنى كلمة حرائر ، قلّب بعضاً من صفحات المعجم وقرأ بعينين مرتبكتين فظهرت أمامه كلمات عديدة إماء يقمن بخدمة أسيادهن ، وفتيات يحملن جرار الماء عند غدير القبيلة ، وخيول تتباهى بسروج الفرسان فوق ظهورها ، وخيام تلعب باطرافها الريح ، ورجال قبائل نامت فوق عمائمهم ذرات رمال الصحارى ، وعبيد مضطهدون ليس لهم عملا إلا سكب القهوة المرة في أفواه الضيوف الدائمين ، قلّب صفحات اخرى فظهرت له الصحراء الواسعة ورمالها المتطايرة فوق وجوه الرعاة المنهمكين بين ثغاء الأغنام ورغاء الإبل ونهيق الحمير ونباح كلاب الحراسة ، أغلق المعجم فهذه البيانات التي ظهرت له لاتسعها مساحة تفكيره فهي قد تكون مكتوبة على عجل ، ربما شبيهة بطريقة كتاب العرائض حينما يروجون طلبات التعيين التي تجتاح العاطلين والخريجين بين الفترة والاخرى ، تناول مرة اخرى ذلك المعجم فكانت انامله تلامس الصفحات بعجالة حتى إستقرت عينه فوق حرف الزاي ، أمعن النظر في الكلمة التي ظهرت أمامه زواج ، حملته حروفها بعيدا ، تذكر حينما كان في معسكرات المجاهدين كان المسؤولون يعرضون عليهم أنواع الزواج، او هو هكذا بالنسبة للرغبات، البعض يختار الزواج العرفي او زواج المتعة، آخرون إختاروا زواج الشيخ المقرون بنظرات الشهود المشككة، آخرون نأوا بأنفسهم عن كل ذلك ليعتصموا فلم يختاروا إلا زواج الإغتصاب اوالزنى خوفا من نظرات الشهود ومحاضر الملالي، وربما من إرهاق دفع المهور لنساء لايعرفون عنهن شيئا سوى إنهن مؤمنات مجاهدات، في ذلك المحيط لا أحد يستطيع الإعتراض، فحياة الإنحناءات أفقدت الكثيرين من هؤلاء كراماتهم فذهبت معها كلمات الإعتراض اوالإحتجاج او الرفض، في ذلك المعجم ألفاظ كثيرة ، عند حرف الثاء قرأ كلمة ثورة فمن أجل ان يتم تسبيح الولي عقب كل صلاة لابأس بأي شيء حتى وان إرتدت العرائس أثواب الزفاف الملطخة بالدماء، لايهم أي نوع من الدماء ، دم العذرية او دم الرصاص الحاقد اوحتى دم الدورة الشهرية، تذكر حينما كان تلميذا لايعرف الكتابة الصحيحة دون أقرانه وكيف ان معلم اللغة العربية كان يصرخ بوجهه مرارا ويوبخه عند كل درس لركاكة إسلوبه ولعدم تعلمه كتابة الكلمات، كذلك لتخلفه في حفظ وإحضار دروسه، أغمض عينيه حينما رست نظراته فوق كلمة تغيير، كل شيء يتغير تلك المعاجم يجب ان تواكب التغيير، العرب يجب ان يتغيروا، لا فإنهم لايغيروا ما بأنفسهم، فتح عينيه على وسعهما، إنها كلمات قديمة كتبها الأسلاف ببلاغتهم الصحراوية أما الآن فهو في دوامة دائمة من الأسئلة الجديدة هل يجيب عليها بما يأخذه من ذلك المعجم من كلمات ، ولكن كيف في الأمس كانت تسمى الغارات بين القبائل او الحروب واليوم..... صمت قليلا ثم قال مابال الثورات العربية او الربيع العربي لماذا تحيا في شتاء قارس، صاح بداخله صوت مجهول أنا الآن تائهٌ كيف أجيب عن اسئلة الصحافة والإعلام، البعض يعتبر ذلك ثورة بيضاء وآخر يعتبرها سوداء، آخرون يعتبرون ذلك إنقلابا على القيم والمفاهيم السياسية، إنهم يشبهون في إطروحاتهم هذه مساحي الاراضي الجديدة حينما يرسمون فوقها خرائط غامضة لمشاريع وهمية يتقاسمون غنائمها فيما بينهم وفق مبدأ تبادل المصالح وبعيدا عن عيون الرقباء والمتطفلين ، قال نحن المميزين عن الآخرين ، كل أموال هذه البلاد نعتبرها غنيمة حرب، لذلك فما يسمى بالكيكة الدسمة العابقة بأريج براميل النفط الهائلة غير صالحة لإستهلاك الشعب، هي خاصة للإقتسام بيننا نحن فقط، العتمة الدائمة هي طريقنا الوحيد الذي يفضي للإستيلاء الدائم على كل الثروات، فشمعة واحدة يشعلها أحدهم ممن ينادون بما يسمى بحق الشعب من النفط كفيلة بان تجعلنا نتخبط كالخرسان بين ضجيج الاعراس، لاشك ان الكثير من المواطنين عطاشى وهم يتطلعون بشغف من أجل الإرتواء من أموال وطنهم وثرواته، صحيح ان هؤلاء الناس لهم حق معلوم من تلك الموازنات التريليونية، ولكنهم للأسف ليسوا مثلنا فسيرنا الذاتية متخمة بالجهاد خارج الوطن ضد الديكتاتورية، اليوم هم يتكلمون عن الإقصاء او التهميش او القمع او حتى الخيانة، قد نعطيهم بعض الحق، صحيح إننا كنا خارج الوطن لانشرب إلا من زجاجات المياه المعدنية بعيدا عن اجاج مياهنا الوطنية، وصحيح اننا كنا خارج بلدنا نقيم الحفلات الراقصة والليالي الحمراء والبيضاء والسوداء وكل الألوان الاخرى، وصحيح اننا وفي بعض الايام لانميز بين الليل والنهار لكثرة ماأفرغنا في بطوننا من كؤوس الويسكي، وصحيح اننا... واننا.... إلاّ اننا ومع ذلك كله أصبحنا الآن متفرغين لصلاة الجمعة، فذكرى مسحاة ابي التي أكلت لحم اصابعه ألقيتها بعيدا عن ذاكرتي، فاليوم ابي لايحرث أرضه ولا يشق أنهارا ولا يحصد قمحا او يزرع عنبرا فواحا باريج الفرات، فالتمر يأتينا من صحراء نجد والفاكهة من مرتفعات الجولان والرقي من الاقصر والحليب ومشتقاته من طهران والرز يأتينا من بين صخور مدينة أربد والقمح تطحنه لنا وترسله مزارع استرالي، وددت ان انبهكم عن امر مهم، فعند صلاتي في يوم الجمعة ولكثرة مشاغلي ولضياع أغلب وقتي في إنجاز وتيسير امور المسلمين من ابناء وطني ، فاني لا اصلي باقي ايام الاسبوع، أجمعها كلها في صلاة واحدة واصليها يوم الجمعة، اذ لو لم تكن كذلك لماذا سميت الجمعة بهذا الاسم...؟، لانها كما اظن تجمع كل صلوات ايام الاسبوع لتعوض عنها بركعتين مريحتين يمطرنا بعدها الشيخ بخطبته التي نجبر على سماعها لانها تعني الركعتين الاخريين من صلاة الظهر ، انا لا اريد ان اتحدث عن هذه المسائل فهي ليست من اختصاصي رغم اني درست عنها كثيرا عند بداية انضمامي للمجاهدين قبل ان اغادرهم، أبوح لكم بالحقيقة فأنا وحينما تنتهي مراسيم الصلاة ويبدأ الشيخ بالقاء كلمات خطبته فوق رؤوس المصلين لا أهتم بكلامه كثيرا، كنت اسرح مع خيالي والآن انا اتابع الشعارات التي يرفعها المصلون، قراءة كلمات هذه الشعارات تجعلني متيقن جدا بان هذا الشعب مازال غارقا في يم الحيرة، فبين الجامع و الانتر نت خيوط واهية من نسيج العنكبوت الايماني الحديث، عندما كنت صغيرا كنت في حرب شعواء بين المعلم وسبورته وانامل والطباشير، ورغم قوة الشد والجذب التي كانت تتمتع بها المدرسة الا اني كنت خارج نطاق الجاذبية، اجدادي كانوا يصنعون اصنامهم من تمر الفقراء ويطلقون عليه اسم الآله حتى يتضرع اليه هؤلاء الجياع بدعواتهم التي لاتنتهي، رغم كل ذلك فهم لم يقوموا باية ثورة او إنتفاضة او إحتجاج او اي مسمى آخرا، كان الوأد حاضرا في كل شيء وليس للاناث المولودات حديثا فقط ، فمثل تلك الثورات تموت وهي في المخاض، او تحاصر بعسر الولادة لان هذا الشيء محرم جدا على الفقراء فلا يجب ان تمنح لهم الجرأة للاقتراب من تلك المقدسات، فسدنة الكعبة في الامس وخدمة آلهتها توالدوا مع الريح لتنبت لهم مع ماء الوضوء كعبات اخرى مليئة بالتمائم والرقى والتعاويذ والصور والاقمشة الخضراء وحجيج كثيرون يقطعون الفيافي سيرا على الاقدام وهم يحملون صور آلهتهم الملونة، مثل هذا القاموس الذي اقلب صفحاته الآن إستعاروا كذلك كلمات للمديح فاحفاد رجالات قريش من سدنة الكعبة لفوا فوق رؤوسهم العمائم التي اخذت الوانها من وجوه رجال ثورة الزنج لتدخل باستئذان او بدونه الى تلك المزارات المقدسة الناضحة بالطقوس التي كانت تحتضنها وجوه تماثيل الآلهة العديدة لتصبح فيما بعد شرعا مقدسا يجب على المريدين حفظه وترديده امام هؤلاء الاولياء الذين هم بلا شك ورثة بخور المعابد والواح سفينة الطوفان وعبق كلمات الصالحين ،في الامس كانوا يبيعون الحرير والنساء واصنام الآلهة للحجيج عبر رحلة الشتاء والصيف قبل ان تتحول اليوم الى رحلات بطائرات تجوب الفضاءات وفي جميع الفصول، مريدو الفيس بوك اليوم يزورون المواقع الالكترونية اكثر من زياراتهم لمراقد الاولياء والصالحين، ربما في كل عام يبنى في ارض ما مزارا لولي صالح وفي كل شارع يفتحون محالا كثيرة لبيع الاغاني وتصدير الرقص الماجن وتسويق الخطب الركيكة لآلهة المنابر الداعين لتمجيد الدولار كواقع لابد منه ، الشعارات التي يرددها المصلون وربما بعض المتظاهرين اكثرها مستعمل سابقا والبعض مستورد مع البالات التي تجتاح مدن النفط في بلدي العابق بالبترول المقدس وشعارات الاجتثاث والديكتاتورية وازلام النظام ورجال اليمين والديمقراطية والتعددية والمشاركة الوطنية وحق التمثيل الانتخابي وحقوق الموت الجماعي بسيارات التفخيخ وعبوات الغدر ، الكثير ممن جاءوا مع انغام اصوات دبابات المحررين وهي تدك بحقد معالم بلدهم، بقي بتي شيرت الثورة وجينز النضال ضد الدكتاتور، فهؤلاء كانوا في الامس هم من قاتل الطاغية في حانات روما ومراقص لندن ومطاعم نيويورك وفنادق باريس وبازارات طهران، ليقرأ من هناك سورة الفاتحة على ارواح الشهداء الذين اكلت اجسادهم سنوات الحصار الجائر، المشهد ياأصدقائي كبير وخارج حدود المسرح فلا خريطة تستوعبه لانه كثير التضاريس ومتداخل الاحداث ولا تظهر للعيان صورته بالالوان الطبيعية، لقد جربنا الفوتوشوب لتلميع الصورة واستعملنا الوافي الذهبي ليترجم مابداخلنا من هموم وصعدنا من وتيرة الاسماء، فكل مدننا عواصم فمدينة عاصمة للثقافة الاسلامية واخرى عاصمة للثقافة العربية وعندنا عاصمة للاقتصاد الحر وعاصمة للذبح المنظم واخرى للتهجير القسري وعاصمة للحكم الذاتي واخرى للحكم الاسلامي وعندنا عاصمة للشعارات الطائفية واخرى للمواكب العاشورائية، حاولنا بطرح تلك المسميات وغيرها ان نقتطف تفاحة الخلود لكننا اقتفينا ودون ان نشعر اثر آدم وحواء فطردنا من ارض جنتنا ، فمنذ هبوطنا اصبحنا لانهتم بشيء سوى اننا اعداء بعضنا البعض، الكثير ممن نهل من خارج الوطن أساليب عدم الرحمة وقساوة القلوب وتعلم قواميس النصب والاحتيال اصبح دون جهد او مشقة بين ليلة وضحاها من رجالات الثقافة او العلوم او السياسة او الدين فهؤلاء الدخلاء الذين استيقظوا فجأة بعد سنوات طويلة قضوها في سبات بين مدن الثلج والضباب والبارات والنساء الحسناوات، إستفاقوا ليجدوا امامهم كل ثمار الجنان اليانعة وهي دانية في متناول ايديهم التي دنست بسرقاتها تراب الوطن وخيراته. في الامس كانوا يلعنون اصحاب الفيل ويعلنون للناس بان صواريخهم حجارة السجيل لهذا الزمان، وحينما اصبح بيت المال في قبضة ايديهم الفاسدة صاروا جزءا من حاشية ابرهة وحرسا اوفياء لاصحاب الفيل، فهم لايفرقون بين ادوات الاستفهام او ادوات النفي حتى اصبحت بلادي ألفا للتفريق ومنبع للمعضلات والتنافس بمعايير صدئة قد نفرت منها كل حكومات القبائل وقوم عاد وسدنة معابد بابل واصحاب لوط ومملكة زنوبيا واهل هرمز وبنو عثمان بن ارطغل، تتردد الكلمة في داخلي وهي تحاول الخروج، سأطلقها فلماذا الصمت واكثر الحقائق الآن اصبحت ملك مشاع للآخرين ، مثلي اليوم الكثير ممن كانوا لايفرقون بين المبتدأ وبين الخبر، ولكنهم اليوم غارقون بالملايين من دولارات النفط، قد يحتج البعض ولكن نحن كنا فيما مضى في عتمة مقيتة، واليوم السراج الذي نحمله لايضيء دون زيت، ونحن مذ جئنا وللآن نجمع كل تفاصيل الاخطاء الصغيرة والتافهة وهي تتراكم لدينا يوما بعد يوم، وتتكدس دون ان ينبهنا احد بتبعات ذلك العمل، وحتما ستكون تلك الاخطاء في نهاية رحلتنا هذه هي الاصل الوحيد الذي نستند اليه في اعمالنا بينما سيتحول اصحاب الحق الى مجرد كلام عابريتحدث عن القيم او المباديء التي ماتت منذ سنوات تحت رزم الدولارات الكثيرة.

شيء من الصحو

ريسان الخزعلي

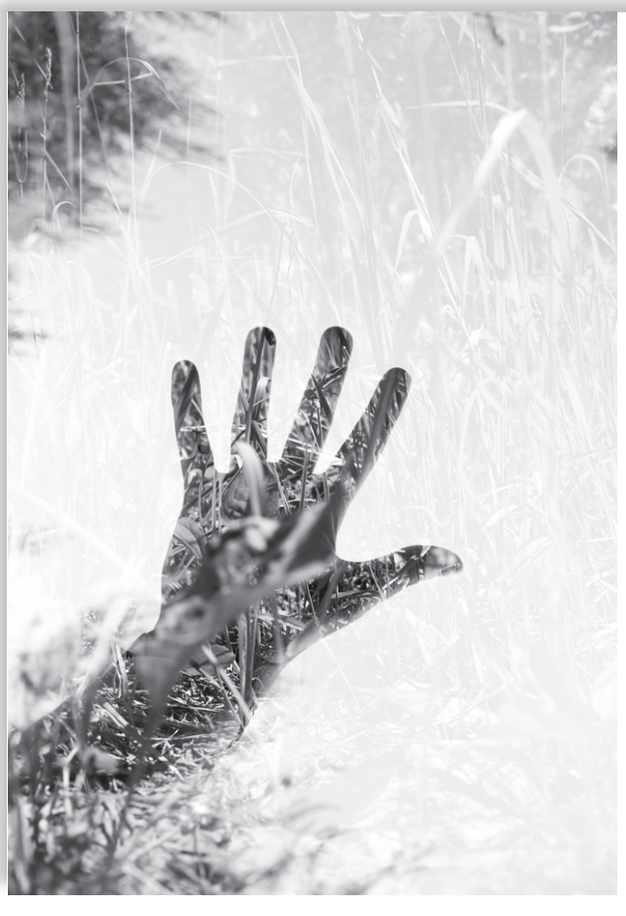

1
هاتف المساء الشتائي..
.. مَنْ كانَ في الصالةِ..
(يقتلهُ) البرد.
وحدي..
في الحديقةِ..،
يقتلني الحُب..!

2
الصحوة الاولى..
..في الصحوة الاولى..
عرفتُ الطريقَ الى (المدرسة).
لم أستدلْ كما استدلَّ غيري..،
بل راودتني فكرةٌ في أن أكونَ الدليل.
وما إن كسبتُ الرهانَ.. حلَّ بيَّ الغليل.
...،
كم كانَ يرهقُ خطوتي هذا القليل..؟!
غيرَ أني في الطريقِ الى الصحوةِ الأولى..!

3
كأس التعارضات..
كنتُ محترساً..
أتقي غيابكَ برجفةٍ من ذهول.
أنصتُ لنبضٍ..
يوصلُ الكفَّ مرتعشاً..
الى غيمة مرّتْ ..
وما مرّتْ على ما لاحَ من ومضٍ..،
يحاصرهُ الذبول..!
...،
فما إتقيتُ فضيحتي وأنا العجول..!
عاجلتُ نفسي بالكثيرِ، وبالكثيرِ..،
وكنتُ محترساً خجولَ.
ما كنتُ اعرفُ كأساً للتعارضِ..،
في..
يدي..
الاخرى..
مفاتيحَ الحلول.

بادلتُ صمتي نبيذاً..،
وابتدأتُ غناءَ الملول.
...،
هي لعبةٌ طاوعتني..،
وكنتُ وحديَ أسمعُ ما أُغني
أو أقول..!!

في مركز الثلث الثاني

إسماعيل إبراهيم عبد

المهندس النحيف اشتهر بحلمه الكبير أن يشيد عمراناً في أرضه يكون قبلة تتجه إليها عمائر الأرض من خط الصفر الى خط (360). !! وبذات الوقت بولعه بسيجارة لا تنطفئ.. واشتهر بقلقه المتوقد مثل سيجارته!!

ويوماً بعد آخر كان يختبر كفاءته. مرة في نصب طرق مقوسة.. ومرة في تعمير منصة للطاقة.. ومرة في بناء مدرج لما يعتبر طبقة جسور معلقة !! ومرة في اختلاق ركن لأثر يشبه (قصر العاشق) بل أراد بناء جسر يضاهي الجسر العباسي في زاخو !!

كان دائب الحركة مثل قلقه !! كلما مَدَّ يده الى المرقاب، وركزه على إمتداد المشروع الجديد يجدها مشلولة.. وظل يناور لأجل تأخير العمل ! صحيح أن الطريق يربط جانبي البلدة ويحييها من سبات الركود السوقي، - يعتقد بذلك – ويظن ان المشروع يختصر الدوران حول دروب طويلة للوصول الى عمق المدينة، وانه سيسهم في إيصال الثمر والدواب الى آكليها قبل فسادها !

.... كان القلق يجمّد يديه، ويصلّد ملامحه، و ... لجأ الى السيجارة ليداري بعض ترددِه.. ليس هناك أية مشكلة حقيقية !! فالأرض للدولة، والمشاتل كلها متجاوزة، والبساتين بأكملها لم تسجل باسماء فلاحيها !.. ألطف ما في البساتين – يظن – أنها متلاحقة ومتلاحمة فالنخيل في الثلث الأول من المشروع، والبرتقال في الثلث الثاني، والموز في الثلث الثالث ...

وفي منتصف الثلث الثاني، بمركزه تماماً (جنة برتقال يحتمي بنخيل يطل على شاطي يستظل بالموز).. ومن هذه الجنه عليه أن يبدأ !

يحس بالشلل يسرى في كامل جسده.. جلس دنو الشاطئ.. شرب ماءاً من النهر، قطع ورقة برتقال، دعكها ... شمها مدّ يده الاخرى الى تربة خليطة من الرمل والغرين.. رشقَهُ آذار بنثيث مطر رخي.. ولم يغادره القلق بعد !..

..... لا يريد سوى ان يبدأ ليقول للمهندس الاعلى أنه هضم التعليمات ! لا يريد سوى ان يبدأ بلا قسوة..

نظر إلى الاعلى، كانت السماء بهيجة، بغيومها ونداوة هوائها، كأنها تأمره ان يدخن سيجارة وان يقرر أنه (سيقرر) هكذا (ظن) نفسه.. وكان ورق الموز والبرتقال يلتف حوله مما يبطئ حركته حد السكون !

..... كانت هناك فرصة للتأخير، ان يفحص التربة مرة اخرى ويقارن بين المعلومات المباشرة وتلك التي تضمنتها مسودة المشروع!! جرّب مع الجيولوجي فكانت الحصيلة واحدة لاخطأ !! لافرق!!

نظر إلى الأعلى ثانية.. أنهى سيجارة، وعاد ثالثة يدخن وينظر إلى الاعلى.. طارت حمامتان، فرَّ أرنبان، بقرة وثور أسرعا بالهَرَب من كارثة أحسا بها قريبة !

..... كان ثمة معلومة تقول (في مقدمة تلالٍ الفحّامة يوجد موقع أثري (أكدي) وعبثاً حاول تنبيه المهندس الاعلى، الذي توغل مع مكائنه الى تلك التلال..

كانت مهمة المهندس النحيف تشييد الركائز التي تبدأ من طريق الموز حتى الضفة الثانية بين الكاظمية والاعظمية !

..... في فورة العمل، الهدم والبناء، الحفر والردم، القطع والاعلاء، نسي وضعه الشخصي،وكانت تتقزم أمامه إمتدادات الاعالي، وتطاولات الزواحف، وزحوف المتسلقات،.... وكانت الإعناب..كان البرتقال أكثر أنواع الجذور تشبثاً بالارض وأقوى غوراً في التربة، وكانت الجذور هذه تمتد مثل أمعاء صديقه التي بعثرتها قذيفة طائرة تحت ركام مركز الاستشارات الهندسية في مجمع (السيدية).. كانت الجذور تمتد وتمتد مسافات اخرى بذاكرته حتى تصل اليوم الذي جندّوه في شهربان، حيث إختلطت سيقان الاشجار بجذور النخيل، بقلوب الخضروات بأجساد العسكرين الملتحقين تواً من الأجازة !!

.. كان يوم دمار آخى بين الجثث المدفونة (للأكديين) وهياكل الأجساد المسحونة ((يوم الطيّارات)) ... هكذا سموّه.. ذلك اليوم.. ذلك اليوم حصد واجهة المدينة والجند المرابط خلفها.. المشكلة في ذلك اليوم أن الجذور متصلة بأسلاك الطاقة المرتبطة بمخازن العتاد،كان عليه أن يساعد دفعته الهندسية في ترميم مخازن العتاد !!

وقف مبهوتاً مثل اليوم، !! اشلاء وأعضاء وأنقاض يجب ان يعيدها كمشروع لمهمة غير قابلة للتأجيل.. وقف يتصور بناءاً من أشلاء ورميم ... كان يوماً واحداً وانتدبوه للدراسات العليا ثم لوزارة الصناعة ثم لرئاسة مركز الاستشارات الهندسية !!

والآن ! لا رئاسة لمن لا رأس له !

والان يقف، ينتظر الفرار من أمام نظرات المهندس الاعلى ومن خشخشات الاعشاب والجريد، وتكسر بيوض الحمام وإنفعاس الأرانب، وانحناء رقاب الشتلات، وانهضام حدقات الفلاحين الموكوسين، والدجانين المهووسين، والنحالين المتعوسين، وعمال المساقف البائرين!.. يفرُّ من ماشية لن تجد ماتأكل وعذوق لن يسمح لها بالإخصاب، ومياه لن تحبو عبر النهر نحو عروق الموز والبرتقال وهياكل عظام الاجداد..

تذكر أن أخاه الصغير غادر البيت منذ أيام.... وكالمجذوب دخل حومة العمل، مفتشاً عن لا شئ، هائماً بشبه إنتشاء !

تذكر أيضاً أن عليه ان يصمم موقعاً لحركة القطار النازل من (المحطة العالمية) الى المعقل..

كانت له خبرة جيدة في تخطيط مسوح محطات الانتظار والارتحال ، فمرة أرسل أخاه في القطار الصاعد الى الجنوب لكنه خالف السير فصعد في القطارالنازل إلى الشمال ولم تحن له فرصة أن يسأله لماذا ! ؟

وفي تبريره للغياب الأول لأخيه تمنى لو تصدق النبوءة (إنه سيسيح مع الماء حتى آخر أعناق السرو، وسيتدفأ بزفير خورة الجزائر، ويزدهر مع زهور دجلة الدورة، ورقرقة الخابور، وهودجة حمرين، وزُرّاقة بنجوين، ومخصنوضرة كميت، ومقصوصبة مجنون، ومَفْتَنة جمجمال، ومسودة بابائيل، ومحومزة جلولاء،.... ويكلله بالجلال رنين الغثاء، وصهيل النافقين، وأنين المستوحدين، وانثرام الغائبين، وغياب المهجّرين، وانسلاخ الآفلين، وغفوُ الآيلين !!)

ولربما اعتقد بأن أخاه ستأخذه النبوءة لتقصي خطى المحطات حيث سيشد القرط بالأذن، والضياع بالهوية، والبطاقة بالمصير، والقطار بالخطف السريع!!، ... وسيضمد العظام بالأجساد، والاضداد بالأبعاد، والبزول بالكلاب، والقلاع بالأحداق، والجسور بالبثور !!

وقد يمتد عرق يده اليمنى الى عصبة السلجوقين في جبلة ابراهيم، وعقدة النيليين في صباغية الامام، وسبعية الجنائن في توأمية كورش، وادريسية المصاطفة في جزرة العلويين،، ... !!

... وكأنه تراجع !! أو استكثر أن يكون لأخيه مثل هذا الحضور فقد تمنى نبوءة اخرى.. أن يعود.. ولربما سيرسله ثانية الى بئر يتوسط أرض (السادة) التي باركها يشع، ويسوع، وسواع، ... خلف المحطة العالمية !! بل أقرب الى مقدمة (الشيخ الشهير) ... أعجبه ان يرى أخاه مثل الاطفال بين عضود الامهات يُرشُّ على وجوههم الماء من براثا العظيم لترتد الوجوه المكفهرّة الى قدود ناعمة منعّمة تطفح بالبُشر والسلام ...

ولربما، اذا عاد، سيرسله ثالثة الى ... ولكنه لم يَعُدْ !!

كان يمنّي نفسه أن يفي ويوافي صرخات المَحَلّ – ويل في الليل، في حلة بوب الشمائل، وأن يملّح وجهه بسبخة الفوّار ويملي أنفه من عنبر الكوفيات ...

كان يظن أنه باستطاعة أخيه ان يسهل المرور من نقرة السلمان الى حاضرة النعمان، ومنها الى شقائق الحجاز !!

... هاهو اليوم في مشروعه يحث الظنون نحو اليقين.. وبين الظن والنبوءة شاهد كلا با تهرُّ بعداء وتحد !!

نظر الى الأعلى.. توقفت أطرافه عن الحركة بلا سكون !! قَلَقُ دمه، حرّكها باهتزاز قميء ... كان يكره الكلابَ واولادها.. يكره العض وقيامات السحل والجر ..

يكره.. يكره ..لم يتعلم فن الكره جيداً ! ... فراح يتلقاه بصدر مفتوح على كفاف الايدي، ومدامع العيون !

..... كان جنبها هيكل عظمي يغطي نخاعه بعض لحم مغر.. فجأة نهرته الكلاب.. خافها.. إصفر لونه، رجفت عيناه، تماسك قليلاً قبل أن يغمى عليه ... ولما أفاق صرخ: آخ.. آه قلبي.. آه وغشى ثانية !!

بعد ثلاثة ايام جاء الى المشروع ... قبله كان الأمر صدر بإلغاء المشروع.. لكنه ظل واقفاً ينظر الى الاعلى ... ينتظر مَنْ سيهديه الى مَنْ أكل أخاه يوسف (الكلاب أم الذئاب) !! كان يكره الكلاب ويخافها ومايزال !!

جرابُ الرأي

في ذكرى الباسل جزيل البذل
محمد ابراهيم نقد

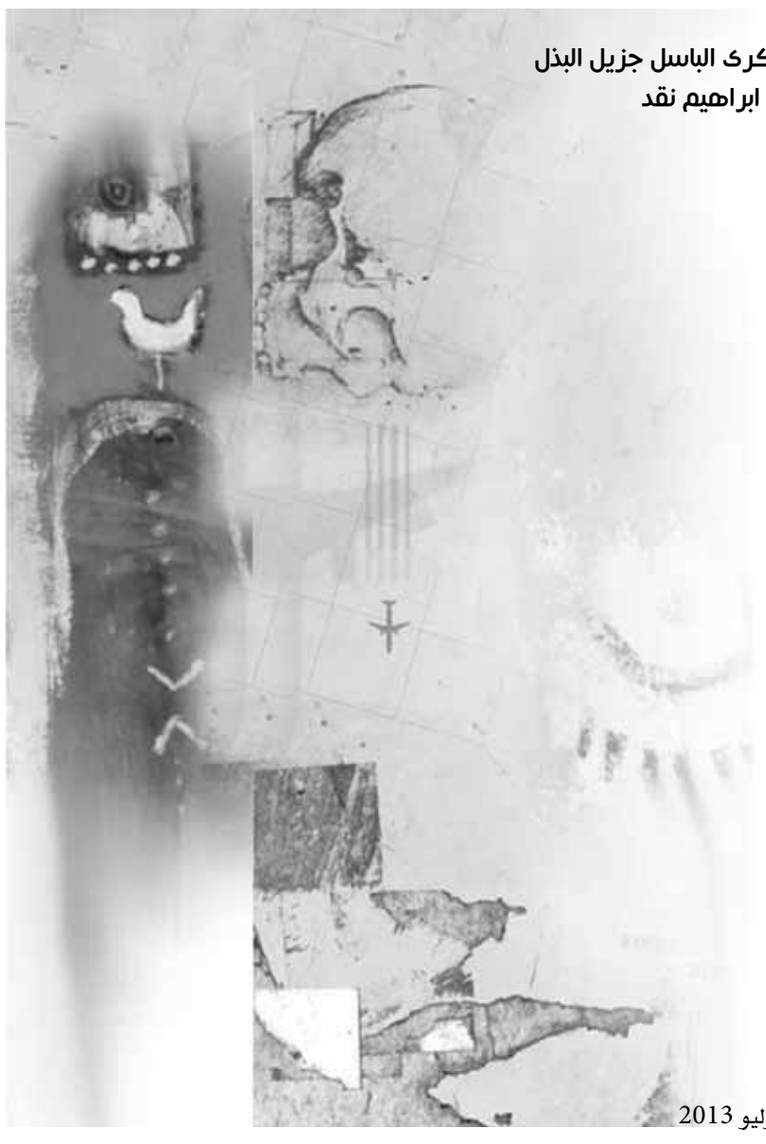

كيف تسنّى لك تنضيد الأهلّة؟
وتصفيف المجرات؟
المستحيلُ يحولُ بين يديك صلصالاً تشكله
وروداً وبروقاً وطحينا
منتصباً كرمح في العراء هواكَ
حيث لا تُقعي الأماني كالجراء العُميِّ
تنتظرُ الهبات
هل في يمامة حلمنا زرقٌ سواك؟
بالبصارة والنبوءة يسبرون مجاهل الأفلاك؟
كدأبك الإسطين تمعنُ – يا جراب الرأيِّ –
تمهيد الدروب
وتكتفي بعين كي ترى شجراً يهرولُ في الأفق
وتمنحُ – دوّن منّ في الحقيقة- عينك الأخرى
زكاةً للبصيرة والرؤى
فتبعثرُ القفشات عن تعب القراءة
وإنتصاف العتمة الصغرى
وعجز المبصرين عن احتشاد الطين
يرتجفُ الجلاوزةُ العتاةُ
وأنت تضحكُ،
تسوخُ أقدامُ الطغاة
على وحول الرعبِ
وأنت مشغولٌ بروحِ العصرِ،
ولم الشعث،
ترتيب (الأجندة) للحفاة المتعبين
تخبُّئونا بصدرك يا - جرابَ الرأيِّ - كي ننمو
وتعصرُ آخر القطرات فوق شفاهنا العطشى
وتهزأ بالظمأ
ثم تخرجُ كانبلاج الفجر من كفِّ الملايينِ
حميماً «دافئاً كالخبز»
مجلواً بدمع الحبِّ
ملتفاً بأردية اليقين.
يتاماك تأسو
أيها الجسدُ المباركُ في الجدث
أيها القلبُ المزججُ بالحنين
تقاسمناك عام رمادنا والجوع
طرساً يعلمنا القراءة في الغسق
زيتاً لنار كفاحنا، ماءً وعشبا
وخبأناك عام الخوف مسبحةً،
وتاجاً من لجين
وعمدناك عام الدم
مجمرةً
ضماداً للأنين
فكيف تسنى لك تنضيد الأهلّة؟
وأنت مسكونٌ بهمِّ الأرض
تدحُوها مهاداً لجموع القادمين
كيف تسنى لك تنضيد الأهلّة
يا جراب الرأيِّ
في الزمن الضنين؟
كيف تسنى لك تنضيد الأهلّة؟

يوليو 2013

إطلالة..

مسرح الطفل وتجربته الجادة في العراق

فاطمة خالد البهادلي*

يقول الكاتب الأمريكي الساخر مارك توين في حديثه عن أهمية مسرح الطفل ودوره في تربية الطفل وثقافة ذهنيته وبناء شخصيته (يراد منا خلق جيل مدرك لأهمية هذا المسرح ، لأن هذا المسرح يعتبر خير معلم ، لأن دروسه تلقى عن طريق الحركة التي تُشاهد من خلال العبارات التي تنطق والحديث الذي يُمثل)، وعندما تبدأ رحلتنا عن مسرح الطفل ، لا تتوقف عند منتصف الطريق ، بل تمضي إلى غايتها التي تصل إلى عقول أطفالنا ، فالمسرح في مفهومه وسيلة من وسائل الثقافة ، وعندما نتعامل مع الطفل لابد أن نوفر الأرضية المناسبة من خلال وجود النظرة التربوية إلى جانب تقديم الجرعة الثقافية من هذا المنطلق كان الحديث عن مسرح الطفل- كأداة لخلق جيل قادر على استقبال العروض المسرحية الجادة ، وعندما نلقي نظرة جادة ومدروسة عن مسرح الطفل في العراق ، نرى ان هذه التجربة لا ترتقي إلى المستوى الذي يطمح أليه البعض وذلك من خلال المسارح التي تهتم بالطفل وان وجدت هذه المسارح ، قد تكون محدودة وتقتصر على بعض رياض الأطفال ، يجب علينا اليوم ونحن نعيش عصراً جديداً عصر الانفتاح على العالم ، ان نضع خطة جريئة لإعداد جيل من أطفالنا ينمو مشبعاً بمفاهيم عصرية بعيدا عن الأساليب العشوائية في تثقيفه وتنمية خياله أن ما نشاهده اليوم وما يقدم للطفل في العراق لا يزال يزخر بالخرافات والمتناقضات وما يقدم للطفل لا يصلح لبناء جيل واعٍ مدرك لمسؤولياته وطموحاته ومن الغريب أن نشَاهد اليوم بعض الأعمال المسرحية التي تعرض للأطفال تعمل ضد المبادئ التربوية ، كاختيار بعض النماذج البشرية مثل الأقزام كمادة للضحك والتسلية عند الطفل ، هذه كلها قد تهدم ما يحاول التربويون والاجتماعيون خلقه من التآلف الاجتماعي بين الطفل السوي والطفل المعوق ، نحن اليوم بحاجة إلى مسرح يتحقق من خلاله تنظيف وتربية الأجيال مسرحياً ، فالمسرح اليوم وفي ظل هذا الكم الهائل من وسائل الاتصال والفضائيات يعتبر وسيلة اتصال مباشر مع الجماهير ونقطة تلاقي عندها كل التيارات التي يتعرض لها الفرد والطفل واحدا من أبناء المجتمع، ويخلق من هذه التيارات فكراً وروحاً، فلابد من وجود كاتب متخصص يتعامل مع الطفل مدركاً لما يعيشه الأطفال للعمل على إيصال المفاهيم العقلية لهم ويتم ذلك من خلال أدارة مسرحية ناجحة لها القدرة على التعامل مع الطفل المتفرج، أن العراق صاحب تجربة كبيرة في هذا المجال بدأت على يد الأستاذ الكبير قاسم محمد إذ قام بتأليف عدة أعمال مسرحية مخصصة للأطفال ولكن ما نشاهده اليوم أن الحركة المسرحية في العراق راكدة، ولابد لها من هزة لكي تنهض وتقدم لنا عروضا مسرحية نحن بأمس الحاجة إليها تعالج قضايا ومشاكل العالم الذي يعيشه الطفل بحيث تواكب عقليته بأسلوب مسرحي بسيط، لأن المسرح اليوم يعتبر اقصر طريق لإيصال المعلومة التربوية والثقافية والاجتماعية لأذهان الأطفال، فحين يرى الطفل الممثل على خشبة المسرح يشعر انه أمام مدرسة وإنسان قريب منه يسلم عليه ويجادله، وهنالك ملاحظة يجب التطرق أليها ونحن نتكلم عن هذا الموضوع، أن معظم المسرحيات هي مستوحاة من التراث، والمادة التراثية والأسطورة والحكايات الشعبية تحتوي على الكثير من الخيال المحبب للطفل، حيث لا يوجد لها مثيل في أدبنا الواقعي (مثل الساحرات والأميرات والجنية) وغيرها من الحكايات و مثل هذه الشخوص محببة لدى الطفل، أن التراث إذا تم تقديمه بشكل مدروس فانه مفيد جدا وأن هنالك كثيراً من القضايا التي يستطيع المسرح أن يقدمها للطفل، على سبيل المثال الموعظة الأخلاقية وبشكل مباشر، نتمنى اليوم من الأخوة المعنيين في مسرح الطفل ان يعطوا اهتماما واسعا لهذه الشريحة الكبيرة في المجتمع، لأننا نعيش اليوم في عولمة ثقافية قد تكون لها آثار سلبية على أطفالنا . ويحضرني قول المخرج السينمائي الكبير هتشكوك إذ يقول (أن عالم الطفل سهل في أفكاره، صعب في تعامله وأنني لم اصل إلى الخبرة التي تؤهلني إلى عالم قاسٍ في حكمه، وهو عالم الطفل).

* باحثة تربوية

أكثر الكتاب الإنجليز حضوراً في الثقافة الشعبية الحديثة

أخطاء شائعة عن حياة وليم شكسبير

ترجمة : حسين علي الوائلي

يثير اسم وليم شكسبير شعورك بالقلق وانت تتذكر دروس اللغة الانكليزية ايام الدراسة، لكن بالنسبة لاخرين يمثل هذا الاسم الذي انتج اعظم الاعمال الادبية والمسرحية المفضلة لديهم من اعظم الكتاب الانكليز على مختلف العصور فهو اكثرهم اعتبارا و حضوراً في الثقافة الشعبية الحديثة، فالناس و من دون ان يدركوا يقتبسون سطوراً من مسرحياته التي لم يقرأوها و يستخدمون عباراته وكلماته في محادثاتهم اليومية.

على سبيل المثال - a laug ing stock،vanish into air،method in my madness كل هذه كلمات صاغها شكسبير في اعماله الادبية.

وفي استطلاع اجرته هيئة الاذاعة البريطانية BBC عام 2002 لاعظم 100 شخصية حل شكسبير خامساً بين تشارلس دارون و اسحاق نيوتن الا ان هذا لم يمنع شكوكاً حقيقية لا تزال تحوم حول حياة هذا الكاتب المسرحي.

في القرن التاسع عشر تحدثت تقارير لا كاديميين عن ان الكاتب الانكليزي وليام شكسبير لم يكتب المسرحيات التي نُسبت اليه بل انها كانت اعمال لكاتب آخر او لعدد من الكتاب في ذلك الوقت، ونتيجة لغموض الاسباب والظروف التي جعلت منه شخصية ثقافية اسطورية و ايضاً الى النقص الحاد في التقارير و الوثائق التي وصلت الينا من القرن السادس عشر تكونت افكار و مفاهيم غير صحيحة حول حياة الرجل الشخصية والتي غالباً لم يتطرق اليها احد.

كان يشاع أن شكسبير هو الذي لعب دور الشبح في «هاملت»

الكتابة مهنة شكسبير

في بداية القرن السابع عشر بدأ وليم شكسبير بالعمل على صناعة اسمه بين الاوساط الثقافية و المسرحية في لندن كانت تحكمها الملكة اليزابيث الاولى و تتميز بالتنوع الثقافي و الفني و الادبي و المسرحي، و كان شكسبير معروفاً كرجل اعمال محترم !! فبالرغم من انه كتب المسرحيات والشعر الا انه وحسب وثائق تعود الى اواخر القرن السادس عشر فأن مهنته في لندن كانت التمثيل. عمل شكسبير ممثلاً في فرقة تشامبيرلينس و قدم ادواراً بسيطة في مسرحيات كتبها غيره و لاحقاً مثل في مسرحياته هو.

كتب نيكولاس روي – وهو اول من تناول سيرة شكسبير – يقول " كان يُشاع ان شكسبير هو من لعب دور الشبح في مسرحية هاملت، بينما اشارت مصادر اخرى انه لعب دور آدم في مسرحية as you like it و الملك دانكن في مسرحية ماكبث.

تاريخ عيد ميلاده.

في اي يوم يصادف عيد ميلاد شكسبير؟ بالطبع و كما هو معلوم فانه يوم 23 ابريل-نيسان 1564، لكنه في الحقيقة تاريخ غير مؤكد، ما نعرفه من السجلات الواصلة الينا بأنه تم تعميد شكسبير الطفل في 26 ابريل-نيسان، اي ان يوم 23 من الشهرنفسه هو تخمين مقبول و منطقي لتاريخ ميلاده المفترض. لكن جدلاً لا يزال يدور حول تاريخ ميلاد الكاتب المسرحي والذي ولد في 23 ابريل-نيسان في يوم القديس جورج وان هذا التاريخ التقريبي يجب ان يُعدل حيث ان هناك الكثير من الاشياء التي زادت الامر تعقيداً.

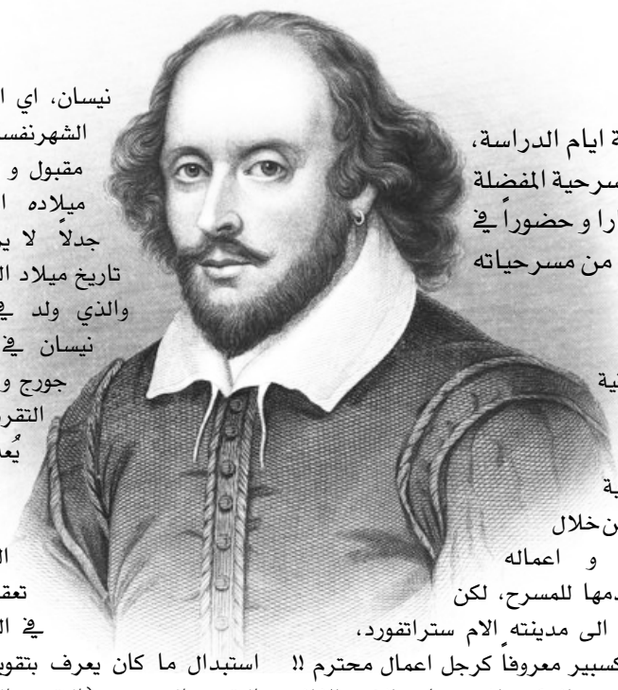

في العام 1582 تم استبدال ما كان يعرف بتقويم جوليان الى التقويم الجورجي (التقويم الغربي الحالي) وبتغير التقويم فان تاريخ تعميد شكسبير سيتغير من 23 ابريل-نيسان الى 3 مايس-ايار ليكون يوم مولده اقرب الى الاول من مايس-ايار حسب التقويم الحديث.

كان قد نشر اعماله الادبية في اثناء حياته.

كان من البديهي خلال الفترة التي عاشها شكسبير ان يبيع الكُتاب اعمالهم المسرحية بشكل مباشر الى فرق التمثيل حيث كانت تلك الفرق لا تشتري المسرحيات الا بعد ان تتاكد وبشكل قطعي بأن ليس هناك اي نسخ اخرى تم بيعها الى فرقة ثانية حتى تتجنب المنافسه معها ومع شركات الانتاج الاخرى على نفس العمل المسرحي، وكان يعتبر طبع نُسخ من المسرحية او بيعها لفرقتين مسرحيتين مختلفتين في الوقت ذاته ضرباً من الجنون.

ومن المثير ان الاعمال الكاملة و التي نقرأها اليوم لم تكن لتوجد لولا ممثلين مثل جون هيمينكس و هنري كونديل الذي نقح و جمع نسخ الاعمال المسرحية الـ 36 و طبعها في كتاب عنوانه " الاعمال الكوميدية والتاريخية والتراجيدية لشكسبير." نُشر الكتاب بعد موت شكسبير، ويعرف الكتاب المكون من 900 صفحة بالمخطوطة الاولى – First folio – تم استبعاد مسرحيتين من الطبعة الاولى من الكتاب لكن الطبعات اللاحقة تضمنت هاتين المسرحيتين التي سنذكرهما لاحقاً.

بناية مسرح شكسبير العالمي

تعرف هذه البناية التي تقع في ساوثوارك بمسرح شكسبير العالمي وهي بناية كان قد اعيد بناؤها و افتتحت العام 1997 – اي بعد حوالي 400 عام من تاريخ بناءها الاصلي حيث كانت قد احترقت في حادث سقوط قذيفة مدفع اطلقت خطأً عام 1613 في عهد هنري الثامن. ثم اعيد بناؤها في العام الذي تلى الحادثة لتهدم مرة اخرى في اربعينات القرن السابع عشر تحت ضغط البيوريتاني (وهم جماعة دينية بروتستانتية متشددة ظهرت في انكلترا و نيوانغلند في القرنين 16 و17 طالبت بتبسيط طقوس العبادة والتمسك بالفضيلة : المترجم) تمت اعادة بناء البناية الحالية والتي اسسها الممثل الامريكي سام وانميكر وتستوعب ل1500 شخص في موقع يبعد 700 قدم الى موقع البناية القديمة الاصلية و بنفس تصميمها.

عاش شكسبير في عهد الملكة اليزابيث الاولى ترتبط اعمال ويليام شكسبير بالفترة التي حكمت فيها الملكة اليزابيث الاولى انكلترا و قد عُرف عنه بانه كاتب مسرحي يرتبط بقوة بذلك العصر لكن في الحقيقة ان اهم اعماله المسرحية وبضمنها ماكبث والملك لير وعطيل و غيرها من الاعمال قُدمت في الفترة التي عرفت بـ Jacobean era . ان فترة حياة شكسبير واعماله تأرجحت وتنقلت من فترة حكم الملكة اليزابيث الاولى الى فترة حكم الملك جيمس الاول، اي انه شهد نهاية القرن السادس عشر وعاش و اشتهر الى ان مات في القرن السابع عشر، لذلك يلاحظ تغيير في اسلوب الكتابه عنده متاثراً بالتحول الثقافي في تلك الفترة فبينما كان الناس يبحثون عن الهجاء الدرامي في الاعمال الادبية و المسرحية كانت مسرحيات شكسبير تقدم دراما رومانسية سببها رجال فاسدون. كان شكسبير يكتب اعماله لوحده كأغلب الكتاب المسرحيين في وقته، لم يكن من غير الطبيعي لويليام شكسبير ان يشترك بكتابة عمل مسرحي مع كاتب اخر، فعدد كبير من المسرحيات المهمة التي تنسب الى شكسبير يُعتقد بانها كُتبت بالاشتراك مع كتاب اخرين. فهناك مسرحيتان على الاقل كانت قد كتبت بالتعاون مع كاتبين اثنين و تم استبعادهما من النسخة الاولى الاصلية من كتاب First Folio وهما مسرحية (the two noble kinsmen و مسرحية Pericles.

كتب شكسبير مسرحية (Pericles) بالتعاون مع جورج ويلكينس، يُعتقد بأن ويلكينس كتب النصف الاول من المسرحية واكمل شكسبير نصفها الثاني.ظهر اسم شكسبير مع جون فلتشر على غلاف كتاب مسرحية (the two noble kinsmen) التي صدرت عام 1634 وكما يبدوا ان شكسبير كتب نصفها ايضاً.

اثبت المتخصصون ان معظم مسرحيات شكسبير و من ضمنها مسرحيات مهمة مثل 'Macbeth'، 'Titus Andronicus' and 'Henry VIII تمتلك العناصر ذاتها التي توجد في اعمال كُتاب آخرين في ذلك الوقت، الا انه لا يزال هناك الكثير من الاسرار والتفاصيل التي لم يعرفها احد بعد عن حياة اعظم ادباء انكلترا في جميع العصور.

ثنائية الثبات والتحول.. المكان ـ الطيور

ليث الصندوق

"أربيليا" هي المجموعة القصصية الجديدة للقاص عبد الستار إبراهيم، كتبت كلها تقريباً في أربيل عاصمة أقليم كردستان العراق، ومُنحت إسمها، وتمتاز أغلب قصصها بارتكازها على ثنائية الثبات والتحول "المكان/ الطيور" التي تعامل معها الكاتب بصيغتين: الأولى: فنطازية بعد أن أخرج مفردات الثنائية من سياقها المتداول، وحشرها في سياق آخر يضمن إعادة إنتاجها تخييلياً. والثانية: واقعية، أو على حدود الواقعية بعد أن زحزح دلالات الثنائية عن النمطية وفتحها على قاموس من المعاني المستجدة.

إن خصوصية المكان، قلعة اربيل تحديداً – التي وردت في أكثر من قصة – في كونها مكاناً للسكن وليست موقعاً سياحياً كما في اغلب قلاع العالم، وهذه الخصيصة المميزة جعلت علاقة الشخصيات السردية التي وِلدت، وعاشت في هذا المكان أشبه بعلاقة الجنين بَالرحم، تختلف عن علاقة السائح بالمكان الذي يزوره. ومن هذه الخصوصية جاءت خصوصية المواضيع.

وبالعموم يبدو تأثير المكان طاغياً على أغلب مواضيع القصص وأجوائها حتى ليبدو وكأنه هو البطل، وهو المحرّك السري لماكنة الأحداث، ولعل أبرز مظهرين للمكان في المجموعة يتجسدان في قصة " الحلم الأخير في قلعة أربل إيلو " و" الدليل السياحي القادم من كاريز ":

المظهر الأول: في قصة "الحلم الأخير في قلعة أربل إيلو " يتجسد المكان بطابعه الحميم شاداً ساكنيه إليه بآصرة سرية يستحيل فصمها دون التضحية بالجانب الهش من تلك العلاقة وهو الإنسان.

ألمظهر الثاني: بينما تتحول علاقة الترابط ما بين المكان والتاريخ في قصة " الدليل السياحي القادم من كاريز " إلى قوة عدائية مناهضة لطموح الانسان باستكشاف كليهما.

أما العنصر الثاني من الثنائية " الطيور " فله في كل قصة دور يختلف عنه في سواها، بغض النظر عن طبيعة تلك الطيور، ولعل أهم الادوار التي أدّاها هذا الطرف من الثنائية هي:

1. شكل عنصر استقرار ما بين منطقتين قلقتين كما في قصة " حمامة سيتافان "، وسنأتي على ذلك لاحقاً.

2. بينما جسّد طرفا الثنائية " المكان / الطيور " في تفاعلهما معاً منظوراً إنعكاسياً للوحدة والانتظار اللذين تعانيانه المرأة التي ترصد المشهد السردي وترويه، كما في قصة إمرأة في قصاصة ورق – القصاصة الثالثة".

3. ولكن تفاعل طرف الثنائية في قصة أخرى هي " كرنفال لطائر المنارة " ينتج عنه ان يتحول دور طرف الثنائية الثاني ممثلاً بالطائر الضيف " أللقلق " إلى عنصر مكمل للاستقرارية والثبات اللذين يمثلهما الطرف الأول من الثنائية " المكان "، فبعودة اللقلق يعود الإستقرار إلى نفوس أهل المدينة المرحبين بقدومه، وتبدو المدينة بوجوده أكثر فرحاً ومرحاً.

4. في قصة "لعنة كيفارا" يشكل وجود الطيور إزاحة للدلالة المعتادة عن سياقها وذلك بجعل الطيور أداة قمع بيد السلطة النسائية الحاكمة، بالرغم من نعومة تلك الاداة.

5–ولكن هذا العنصر من الثنائية يتحول إلى مجرد عنصر تكميلي لمشهد الساحة وناسها ونافوراتها كما في قصة " رقصة الكوبرا".

تتكون المجموعة من إحدى عشرة قصة تناولت موضوعات شتى، ولكن بالامكان توزيع تسع منهاعلى المحاور التالية:

– المحور التاريخي – الأسطوري: والقصص المدرجة تحت هذا المحور بدورها تتوزع إلى صنفين: ألصنف الأول: الأسطوري الساخر: ويشمل القصتين: لعنة كيفارا/ أحلام الباشندر الملونة

ألصنف الثاني: يشمل قصة واحدة فقط يمكن وصفها بالواقعية السحرية وهي " الدليل السياحي القادم من كاريز "

– ألمحور الواقعي الساخر: ويضم قصة " لحاف جارد وقِدر مسوّد "

– المحور الإنساني: ويضم القصص: حمامة سيتافان / إمرأة في قصاصة ورق.

– ألمحور المكاني: ويضم القصتين: كرنفال لطائر المنارة / ألحلم الأخير في قلعة أربل إيلو.

– ألمحور البوليسي: ويضم قصة: إنتقام متأخر.

تبقى قصة "الظهور الذهبي لذي القرنين "و" رقصة الكوبرا" وجدتهما عصيتين على الضم إلى أية مجموعة من المجموعات السابقة.

قصص المحور التاريخي – الأسطوري الساخر:

لعنة كيفارا:

القصة ككل القصص ذات الطابع الاسطوري في المجموعة غير معنية بالذرائع والمسوغات ولا بالوثائق والمرجعيات، ولا بالبحث عن الأسباب، ولا بالاجابة عن " كيف ؟ ولماذا ؟، وأين ؟ " ولا بأي نوع من الأسئلة، فمنطق القصة مبني على مبدأ أن الأحداث استقرّت على هذه الشاكلة، فهو لا يتحمل إقحامه في أية إشكالية سجالية تناقش آليات وجوده وتعيق نموه. وأحداث هذه القصة تراوح ما بين الكوميديا والاسطورة، فهي عن رجل يدعى " كيفارا " ليس له ذنب في إسمه، فقد ولد، ونما، ونشأ عليه في إمارة شهدت تغيرات دراماتيكية مفاجئة ما بين ليلة وضحاها، فتغير إسمها من إمارة " السيوف الأربعة " إلى " إمارة الفضائل والمثل العليا "، ورافق ذلك تغيرات في طباع الناس ونفوسهم، وتغييرات في القوانين ايضاً، ولعل أغرب التغييرات في قوانينها الجديدة هو إصدار قانون يُبعد بموجبه من الإمارة مواطنيها الذين لأسمائهم دلالات ترسخ مفاهيم الكراهية والعنف والقسوة، أو الذين يحملون أسماء شخصيات تاريخية عُرفت بنزوعها العدواني. وبما إن راوي قصتنا يدعى " كيفارا " فقد شُمل بالطرد، وبعد مقاومة طويلة للقانون تمّ تنفيذ القرار وأبعد الرجل مع مجموعة من المواطنين من حملة الأسماء الإشكالية إلى الخارج، وهناك علموا بأن ثمة أملا بالعودة إذاما غيروا أسماءهم، ولكن السؤال الذي ظل دون إجابة هو: في أية دائرة نفوس سيستبدلون أسماءهم وهم ضائعون في العراء. في هذه القصة تعود الطيور بشتى أصنافها والتي كانت قد ظهرت في قصص أخرى سبقتها من المجموعة " وسنأتي على دلالات ظهورها في كل قصة في حينه " تعود للظهور في مظهرين متعارضين:

ألمظهر الأول: حيث تؤدي الطيور دورها الطبيعي في إضفاء جو من الهدوء على المشهد، وذلك بوجودها حول المحققة الحسناء في صالة المحكمة.

ألمظهر الثاني:وتؤدي فيه الطيور دوراً نقيضاً لما ظهرت عليه في المظهر الأول دون أن تتخلى عن وداعتها والفتها عندما استخدمت كأداة ردع لإرباك المطرودين من الحدود بعد ان احتجوا على قرار طردهم وقرروا العودة بدون موافقة السلطات.

ولعل الدال السردي الذي تقدمه القصة لا نعدم أن نجد مدلوله في واقع حياتنا المضطربة، والتي يمارس فيها الحكام سلطاتهم بنزق مفرط يجعل من حياة المواطنين لعبة بيد من لا يجيدون فنون اللعب، الفرق ما بين سرد الواقع وسرد القصة، هو إن الراوي قلب الأول إلى نقيضه الثاني فالرجولة المفرطة ذات الطابع البدوي التي تحكم واقع حياتنا بسلاح التخلف والبدائية قلبها الراوي إلى نقيضها فجعل منها أنثوية طاغية تحكم بقوة الجمال الخارق، وقلب القساوة إلى ليونة، والولع المرضي بالحروب وأدواتها إلى ولع بالأمن والسلام والاستقرار، بل حتى أسماء الناس ذات المعاني الحربية والعدائية المجلجلة، أو تلك التي هي أسماء لطغاة التاريخ ومجرمي حروبه قلبها إلى أسماء الزهور والعطور والأشجار. إن عقاب المسمى عن إسم لا ذنب له به هو عقاب الحاضر عن أخطاء الماضي، وإن عقاب الأبناء على اخطاء أبائهم هو من أجل إيقاف مسيرة الخطأ، وضمان ألا يرتكب الأبناء عندما يصبحون أباء ذات الأخطاء التي ارتكبها الأباء، وأن لا يورثوا لأبنائهم ما ورثوه هم من الأخطاء، فلا اعتداد بميراث مرذول.

أحلام الباشندر الملونة :

هذه القصة تدور على لسان مصور صحفي تثيره تنبؤات زميله عبد الرحمن الباشندر الذي يعمل معه في ذات الصحيفة محرراً لصفحة التنبؤات والذي كان قد تنبّأ بنقل رفات القائد التاريخي صلاح الدين الأيوبي من دمشق إلى كردستان العراق، فهذه النبوءة ليست كنبوءات الباشندر الخائبة الأخرى، فقد صدقت هذه المرة، وأعلن الخبر، واتخذت إجراءات نقل الرفات في احتفال مهيب. وبينما كان الجميع يحتفلون فرحين بهذا اليوم التاريخي جلس الباشندر وحده يبكي أحفاد القائد الأيوبي الذين لم يحافظوا على الأرض التي حررها الجدّ. ألقصة لا تخلو من لمسات خفية من الفكاهة السوداء، كما لا تخلو تلك الفكاهة من دلالات مستترة لكنها ماتلبث أن تعلن عن نفسها بشكل أو بآخر، فالتنبؤ كآلية لقراءة المستقبل هو تعويض عن العمل غير المجدي في تحقيق إنجاز يعتد به في الحاضر، والاحتفاء بجثمان القائد الجد من قبل أحفاده الأحياء هو تعويض الحاضر عن عجزه في تحقيق ما كان قد حققه الماضي، وما بكاء الباشندر المتنبّيء إلا تعبير عن إحساسه بالغبن للموازنة غير المنصفة ما بين طرفي ميزان التعويض: بين قوة وامتلاء الماضي، وضعف وخواء الحاضر، ولعل الدلالة الأخيرة جاءت مع إستعادة الباشندر لبيت الشعر العربي المنقول عن أم آخر ملوك العرب في الأندلس " أبو عبد الله الصغير " حين جاءها باكياً خسارة مملكته وعرشه للإسبان:

إبك مثلَ النساء ملكاً مضاعاً
لم تَحافظ عليه مثلَ الرجال

ألواقعية السحرية – قصة " الدليل السياحي القادم من كاريز ":

هذه القصة هي من أكثر قصص المجموعة تماسكاً من حيث البناء، وإثارة من حيث الموضوع والأحداث، وثراء من حيث التفاصيل. تبدأ القصة بداية واقعية وتنتهي نهاية غرائبية ساحرة على لسان باحث آثاري يعد لإكمال رسالة الماجستير في " ألغات البدائية لإنسان بلاد ما بين النهرين.. الكتابات المدونة على جدران الكهوف نموذجاً "وفي إحدى زيارات الباحث إلى مديرية الآثار في أربيل أخبره مديرها بأن ما ينقص بحثهو دراسة المدونات الاثارية على جدران كهف " ئه شكه وت كوتايي / كهف النهاية " ومن أجل إتمام مهمة الباحث ينسّب المدير أحد الآثاريين النبيهين لإيصاله إلى الكهف ومساعدته في كشف اسراره. وبعد سفر طويل وصل الرجلان إلى الكهف وبدأ الآثاري بقراءة نصوص على جدرانه تستنزل اللعنة على كل من يقرؤها ويفض اسرار الكهف، وفي لحظة خاطفة بدأ مفعول النص يظهر على الآثاري، وبدأ يفقد قدرته على المواصلة، وامتقع لونه وفقد بصره، ومن الكنزة التي كان يلبسها والمزينة بصورة تنين، إنفصلت الصورة وتضخمت وتجسد تنين ضخم ينفث ناراً، أما الباحث فقد تسلل هارباً إلى خارج الكهف تاركاً رفيقه الآثاري لنيران التنين التي التهمت الكهف. وكما برزت قوّة الماضي في قصة " أحلام الباشندر الملونة " ممثلة بنعش القائد صلاح الدين الأيوبي ففي هذه القصة تبرز ممثلة بالتنين، وإن كان الماضي عاد في القصة الأولى على شكل نعش ليدفن إلى الأبد مذكراً الأجيال التالية بأن الجد المدفون حقق ما عجزوا هم عن تحقيقه، فإن الماضي عاد في هذه القصة ليحرق ويدمّر من يعبث به. وإن كان النعش في القصة الأولى يملك قوة مؤثرة وفاعلة على الأحياء دفعتهم للتعبير عن خضوعهم له بشكلين: الأول: تمثله الأعداد الغفيرة من المرحبين الذين خرجوا لاستقبال النعش، إضافة إلى الإستقبال الرسمي الذي حظي به. والثاني: تمثله حالة الانخراط في البكاء التي استسلم لها الصحفي المعني بالتنبؤات. إلا إن تأثير الماضي في قصة " الدليل السياحي القادم من كاريز " كان أكثر تدميراً وعنفاً، فقد تسبب تنين الماضي في مقتل المنقب الآثاري وهروب الباحث واحتراق الكهف.

«عمكا».. رواية قومية

المكان ومنحى الميثولوجيا

صباح هرمز

إذا كان هوميروس فى رائعته الإلياذة قد خلد مدينة طروادة من خلال الحرب الدائرة حول زوجة مانيلا أتريذ (هيلانة)، وخلد كازانزاكى جزيرة كريت فى روايته (زوربا) من خلال شخصية بطل الرواية غير المألوفة، وماركيز مدينة ماكوندو عبر الاشارة أليها فى معظم رواياته، فأن الدكتور سعدى المالح، يسعى فى روايته (عمكا) تخليد مدينة عنكاوا، ليس بالمظالم التى مرت على أهلها، والبطل الفردى، لخلوها منه، ذلك أن عامة أهالى المدينة، هم أبطالها، وليس بالأشارة إليها فى رواياته وقصصه، وأنما بالأضافة الى ذلك، التوغل فى جذور تأريخ هذه المدينة العريقة منذ القدم، ونبش حفرياتها الشاهدة على حضارة وادى الرافدين ومنطقة حدياب، فى كافة مناحى الحياة، من زراعة وصناعة وتجارة وتعليم أرتباطا بالماضى القريب لتأريخها،والى يومنا هذا.

ولعل منحاها الأركيولوجى هذا الذى يتطلب من المتلقى إلماما بالتوراة والأنجيل، يذكرنا برواية (يوليسييس) لجيمس جويس الذى يفرض على قارئ روايته، الأطلاع على هذين المصدرين، ولكن مع فارق، وهو أن جويس يصعب مهمة القارئ، والمالح يسهلها، عبر الأشارة العابرة الى الفقرات فى الانجيل والتوراة بالنسبة للأول، وتدوينها باللغة السريانية مع ترجمتها بالنسبة للثان. وهذا التسهيل لا يقلل من شأن الرواية، بل بالعكس يرفع من شأنها فنيا، ذلك أن المؤلف لا يكتب رواية كما فى يوليسيس تهدف الى محورة شخصية البطل، وتأتى أحداثها كما فى الروايات التقليدية بشكل متسلسل، وأنما بشكل غير منتظم، والى رواية تستنبط تأريخ المدينة وتستنطق شخوصها الحية والميتة. أقول يرفع من شأنها فنيا، لأن المنحى التأريخى للمدينة، يرغم المؤلف لأن ينزع نحو الأسلوب السردى بدلا من الاسلوب الدرامى، وهو الأسلوب الروائى الخالص والأنسب لأشاعة ما يمكن أشاعته من شاعرية المكان، بهدف القضاء على الحدث.

و لكون المكان أهم ما فى الرواية، فأن الحفاظ على هذا المكان، أكثر أهمية من المكان نفسه. والرواية بفصولها التسعة تسعى إلى الأجابة عن هذا السؤال، وهو لماذا لم يستطع شربل الأله وشربل القديس الدفاع عن مدينتهما (عمكا).

ولئن لعبت الميثولوجيا دورا كبيرا فى حياة سكان منطقة حدياب على وجه الخصوص وبلاد ما بين النهرين عامة، فقد أحتل هذا العنصر فى الرواية حيزا مديدا، وحظى برقعة أوسع من العنصر الأخر المتمثل بالعقل الجمعى أو الوعى الباطنى، وذلك من خلال توظيفه مقرونا بحياة الأنسان.

وهو بهذا النزوع، حقق الهدف الرئيس للرواية، وهو الحنين الى المكان، والتشبث به، وحبه، والدفاع عنه حد التضحية، واشتغل عليها فى ثلاثة أتجاهات، وهي الميثولوجيا بالتعويل على الاساطيرالبابلية والأشورية والسومرية والاكدية، بالأضافة الى الكتاب المقدس بشطريه التوراة والأنجيل، والعقل الجمعى بالأعتماد على الخرافات وحكايات الجن، والنزوع الثالث بتصويره حياة الناس الذين عاشوا فى عنكاوا خلال حقبة القرن الماضى، والبعض منهم ما زال على قيد الحياة، تصويرا واقعيا، مشوبا ببعض المبالغة، وهذه المبالغة مطلوبة فى أي عمل فنى، لعدم وقوعه فى شرك المباشرة والنقل الفوتوغرافى، موظفا أياها لما يقارب عشرين مرة، موزعة على فصولها التسعة، وبنصيب ثمانى مرات للفصل المكرس لدركا فقط وست للفصل الثالث الموسوم (قصرا) وبمعدل مرة واحدة لبقية الفصول، إبتداء من أقتران توارث سريان السهول لصناعة اللّبن من أجدادهم البابليين والأشوريين، وصناعة الحصران فى عنكاوا من السومريين، وصناعة العرق منذ الألف الثالث قبل الميلاد ، مرورا بتعميذ الطفل، أمتدادا لملحمة كلكامش وآدابا، والكتاب المقدس، وسفر الخروج، وانتهاء بالطقوس الجنائزية فى بلاد ما بين النهرين ،وأشور، ومراسيم الدفن أرتباطا بقبور الأنسان العادى فى بابل واشور.

وأذا كانت وظيفة الميثولوجيا، تقديم الدلائل للصلة الوشيجة بين الإنسان النهرينى القديم وبين الإنسان النهرينى المعاصر، فأن وظيفة العقل الجمعى بالتزاوج مع الواقعية الخالصة هي التحرى عن الاسباب والعوامل التى أدت الى التفريط بتراث عنكاوا وتعريضه للضياع، وبالتالى أثارها القديمة، وأخيرا أراضيها التى استملكت عنوة، ولم يستطع حتى أكثر ساكنيها بسالة وشجاعة، أن يدافع عنها، جاعلا المؤلف البوابة الشرقية لقلعة أربل خلفية لهذا التزاوج، حيث يقف شربل مواجها عمكا، بأعتباره حاميها، ولكن لا شربل الإله أستطاع أن يحميها ولا شربل القديس، بترميز الأول للوثنية والثانى للمسيحية، مع أن كليهما أستشهدا من أجل أيمانهما، ترى أى ظلم أرتكب بحق أبناء هذه المدينة المغدورة؟! إذ مثلما قتل شربل الأول والثانى غدرا، كذلك قتل اسحاق عيسى الأول والثانى غدرا، ومعهما فى السنوات القليلة الفائتة حنا مربين، دفاعا عن اراضى عنكاوا، وإسحاق الأول دفاعا عن بقرته، بينما اسحاق الثانى، لأرتدائه الملابس الكردية.

وبهذا المعنى تغدو وظيفة الميثولوجيا هنا من خلال تزاوجها بالواقعية الخالصة، تقديم الادلة على أن هذا الشعب، أى شعبنا السريانى هو أمتداد حقيقى لشعب بابل وآشور، ووظيفة العقل الجمعى بالتزاوج مع هذه الواقعية، استحضار الماضى القريب، إتساقا مع الواقع القائم فى حلّة وثوب جديدين ، أي عصرنته، وتقديمه بأطار جديد، بالأرتكاز على الخرافة وحكايات الجن. ويبدأ هذا المنحى من بداية الرواية فى العنوان الموسوم (بدلا من المقدمة الإله والقديس)، والقس أدّي الراقد فى غرفة من المبنى القديم للكنيسة فى عمق الليل، يسمع صوتا كأنه يناديه من باحة الكنيسة. وما هذا الصوت إلا صوت جد الراوى، وهو يطلق صيحات أستغاثة من قبره، (الجد توما) لعدم حماية شربل الأول وشربل الثانى لباب عمكا، وتحولهما من دينهما ألى دين أخر. لسنوات قريبة نسبيا، تحديدا قبل خمسين أوستين سنة المنصرمة، كانت مثل هذه الأعتقادات سائدة فى مجتمعنا، كحديث الجد توما فى قبره، وأحيانا خروج الميت منه، وتحدث مثل هذه الحالات سيما الأولى، أثناء دخول الميت الجحيم وأحتراقه بنيرانها. ومن هنا يأتى أستغراب القس أدّي من استغاثة الجد توما، لأنه كما يصفه فى الرواية، كان أنسانا متعلما ومؤمنا، فليس معقولا أنه قد دخل الجحيم، ولكن كما يبدو أن أستغاثة الجد توما لم تأت بحسب الأعتقاد السائد، وإنما بفعل تذمره من شربل الأول وشربل الثانى، الأله والقديس، لعدم حمايتهما باب عمكا. وموقف الشربلين المتخاذل أمتداد لموقف الكنيسة والأحزاب السريانية والمسؤولين ووجهاء البلد الهزيل فى الوقت الحاضر تجاه ما جرى من خروقات وانتهاكات بأراضى عنكاوا وتوزيعها بشكل غير عادل على غير سكانها، وبقاء السكان الأصليين بدون أرض.

ويأتى التوظيف الثانى لهذا المنحى من معتقد، ولادة الطفل قبل أو بعد وفاة أحد أقربائه، فأذا كان قد جاء قبل وفاته فهو يبشر بالخير، أما بعد وفاته فهو ينذر بالشؤم، كما فى حالة شقيق السارد، ألا أنه على الأغلب توفى نتيجة لعنة جدته، لعدم توضيح فترة ولادة الطفل، قبل أو بعد وفاة جده، واللعنة هى الأخرى تدخل ضمن هذا المنحى.

إلا أن هذا التخاذل، بعدم حماية عنكاوا، كان قد ظهر منذ استلام عبدالكريم قاسم دفة السلطة فى الرابع عشر من تموز عام 1958 عندما بدأ بهدم البيوت القديمة والأزقة الضيقة، وفتح الشوارع ، ليمحو آثار ذكريات الطفولة للأماكن التى قضى فيها الإنسان ردحا من الزمن..(بيد أن هذا كله لم يعن لى شيئا، كارثتى كانت غير كارثة عائلتي، مع أن سببها الرئيس كان الشارع نفسه ، الذى بلع عند نهايته بيتا آخر، هو البيت الذى ولد فيه.) ممتدا هذا التخاذل الى طلب مختار القرية من السارد أن يتنازل عن الشكوى التى قدمها ضد الراعى الهركى الذى تجاوز على بستانه برعي أغنامه فيها، تحت ذريعة عدم أثارة المشاكل مع عشيرة الهركية، وينال صفعة قوية من مأمور المركز لقاء تنازله والتجاوز على أرضه. والمعتقد الثالث لأهالى عنكاوا هو إصابة من يحاول تلويث مياه الكهريز بعاهات، وأصيب احدهم بالعمى واخر تيبست يده وثالث أنتابه الجنون، وكان أهالى المدينة يروجون مثل هذه الشائعات لزرع الخوف فى نفوس الأطفال بغية تجنبهم رمى القاذورات فى مياه الكهريز، أما نساء القرية، فأكثر حكايتهن مع الكهريز هي ما يخص الجن والأبالسة لأنهن كن يرتدن الساقية فى الساعات الاولى من كل صباح وسط الظلام والبرد فى الشتاء وتحت ضوء القمر فى الصيف. وكنّ يعتقدن أن أفضل طريقة لأبعاد الجن عنهن قبل أن يوقفهن ويحاول أن يلطمهن أو يكفخهن على رأسهن هى أسراعهن بتلاوة أبانا الذى فى السموات.

ويربط السارد هذا المعتقد بالأسطورة البابلية التى تقول أن من يمشى بلا إله فى الشارع سيكون العفريت دثاره ...

ولعل مثل هذه الهواجس التى تراود النساء كانت بفعل بُعد منبع مياه الكهريز من بيوتهن ، وخروجهن فى الأوقات التى يخيم فيها الظلام على المدينة، أما فى الليل أو فى الصباح الباكر، حيث تكون مياه الكهريز صافية.

ويدخل التوظيفان الأخيران لراحيل الذاهبة الى المطحنة والرجل العائد من اربيل الى عنكاوا، وهما يشاهدان فى العتمة، مجموعة من الناس يرقصون، ضمن حلقة نفس الهاجس السابق، الا وهو الخوف من العتمة واللصوص والأغراب والاماكن البعيدة والمقفرة التى تولد العديد من الرؤى. أما وفاة ولدي أبلحد سبي وهما فى ريعان شبابهما فى حادث سير منفصلين، ألأكبر بالتراكتور والثاني بالسيارة على طريق اربيل –عنكاوا،فقد جاء حسب المعتقد السائد فى العقل الجمعي للمدينة، بسبب زواج والدهما من أرملة عمه.

وتوظيف الواقعية الخالصة يتمثل فى المواقف البطولية والغريبة وغير البطولية أحيانا لسكان المدينة الحقيقيين، وإلقاء الضوء على عاداتهم وتقاليدهم وسلوكهم وتصرفاتهم، وكيفية تعاملهم مع الحياة فى المواقف الصعبة والسهلة على حد سواء، بأتخاذ السارد ساكنى محلتى دركا وخواجة سبي أنموذجا لأبطال المدينة لأنه قضى فترة طفولته وشبابه وسط هاتين المحلتين، وذلك من خلال سرد معاناتهم مع بعضهم البعض من جهة، ومع جيرانهم من القرى المجاورة من جهة أخرى، بالأضافة إلى التعرض الى الشخصيات التى تعيش على الهامش ولا تفارقها المواقف الطريفة، ويأتى الجد توما فى مقدمة أبطال هذه الرواية، لا كبطل فردى بالمعنى المألوف للبطولة الفردية للرواية، وإنما البطولة الجماعية الى جانب الشخصيات الأخرى، ذلك أن الجد توما لم ينل الراحة حتى فى قبره، وهو يرى فى منامه انهيار الدولة الآشورية، والإنقلاب على النسطورية، هذا الأنقلاب الذى أدّى الى عدم تعميذ شربل الصغير، أمل ومستقبل جيل عنكاوا الناشىء والجديد.

– يا أبتى، أرجو أن تفهمنى، كل رجال الدين الذين طرقت أبوابهم رفضوا تعميذه بحجة أنه لا يجوز المزج بين ألاسمين الوثنى والكنسى! فضلا عن أن الكاهن الأكبر رفض أصلا تعميذه لأننا- أنا وأمه – لم نتزوج فى كنيسته!

ويكسب القس عبر الصلوات التى يتلوها باللغة السريانية عقب الحوار الدائر بينه وبين والد شربل رهبة ممزوجة بنوع من القدسية والأحترام للطفل من جهة، والجو الذى تجرى فيه مراسم التعميذ من جهة اخرى... (بشم آوا وأورا وروحا د قودشا لعلمين. تشبوحتا لآلاها بمروميه وعل أرعا شلاما وسورا طاوا لبنى ناشا بكل عدّان لعالمين)، مانحا بصيص أمل لأصحاب أراضى عنكاوا المستملكة أن ينالوا حقهم، وأن تعود الكنيسة المنشقة الى وحدتها.

لا شك أن معظم حكايات أبطال هذه الرواية ممتعة ومثيرة، وقابلة كل واحدة منها لأن تسرد وحدها، وهى تذكرنا بحكايات ألف ليلة وليلة، بأجوائها الغريبة وأحداثها المثيرة وشخوصها غير المألوفة ولغتها السردية العفوية، ولكن المؤلف لم يشأ أن يدون جزءا من تأريخ عنكاوا، وإنما كله، وهو بهذا يدون تأريخ كل القرى والمدن السريانية فى العراق، يدونها لا تأريخيا، بل روائيا، أي عن طريق الفن الروائى، وهنا يكمن سر نجاح هذه الرواية، ذلك أن التأريخ يعجز أن يوصل المعلومة والمتعة فى آن الى المتلقى، بينما الفن بوسعه أن يحقق هذا الهدف، أو كما يقول أرسطو فى كتابه فن الشعر:

(إن الشعر أسمى من التأريخ منزلة فلسفية وأخطر منه مضمونا، ذلك لأن أقوال الشعر أقرب فى طبيعتها الى الأحكام الكلية، وأقوال التأريخ مقيدة، والفن مطلق. وحين يتناول الشاعر الأحداث التأريخية فى قصيدة أو مسرحية يتحتم عليه ان يفك عنها أسرار الزمان والمكان لتصبح من خلال رؤيته الخاصة جزءا من تراث عام يصلح فى أي زمان ومكان، فعمل المؤرخ هو تسجيل الجزئيات، أما عمل الشاعر فهو تمثيل الكليات، او بعبارة اخرى ان المؤرخ يدون الحوادث التى وقعت فعلا، اما الشاعر فهو يمثل الحوادث التى يحتمل وقوعها...).

لقد صدر أكثرمن مطبوع عن تأريخ عنكاوا، إلا أن أياً من هذه المطبوعات غير قادر على جعل المتلقى من أبناء عنكاوا منجذبا الى قراءته، كما كان فى مقدور هذه الرواية أن تفعل، سيما أن أبناء الجيل الجديد الذين ربما سمعوا فقط، ولم يقرؤوا شيئا عن أجدادهم، كأسحاق عيسى الأول والثانى وحنا مربين والجد توما والكسيس وكربيت ودنحا الحسينى ولوقا كاكا والعم ميخا وقائمة بأسماء طويلة أن يفخروا بهم ويجعلوا منهم قدوة لسلوكهم وتصرفاتهم، وبالتالى ان يتحول هذا الإعجاب الى مشاريع كبيرة فى التأريخ والفن والأدب.

على الرغم من أتباع المؤلف المنحى الواقعي مع شخصياته كالجد توما الذى هو جده الحقيقى، إلا أنه يجعل منه فى الرواية رمزا لتأريخ الشعب السريانى وذلك من خلال ربط الماضى بالحاضر، كما كان فى المرة الأولى فى قبره يشكو الشربلين من عدم حمايتهما لباب عمكا، كذلك فى المرة الثانية باستملاك الحكومة أراضى عنكاوا، وعدم تعويض أصحابها بأراضى أوالمال بدلا عنها، وذلك من خلال ربط هذه العصرنة بالميثولوجيا، فى الاول بشربل الأله وشربل القديس، والثانى بالإلهة إنانا – عشتار، بتوسط أهالى عنكاوا لديها لتمنحهم أجود الأراضى وأوسعها.

ويتبع نفس المنحى فى سرعة قطع الطرق مشيا على الأقدام بالنسبة لدنحا حسينى الذى حضر صلاة المساء فى كنيسة كرمليس وتوجه نحو عنكاوا راكبا حصانه ليصلها فى حدود منتصف الليل ويضرم النار فى داره المحتل من قبل مسلحى الشكاك ليقفل عائدا الى كرمليس ويصل اليها صباحا، رابطا سرعة مشي بطله هذا بسرعة مشي جيوش الدولة الأشورية التى كانت تسير نحو 20 40- كم فى اليوم، وكذلك بسرعة كلكامش وأنكيدو اللذين قطعا نحو 1620 كم فى 45 يوما، أي بمعدل 36 كم فى اليوم الواحد بقياسات تلك الأيام فى رحلة عودتهما الى مدينة اوروك، مبرهنا حدة ذكاء ابن مدينته من جهة عبر حضور القداسين أمام الملأ، لإبعاد شبهة أحراق الدار عنه، وقوة سرعة مشيه من جهة ثانية، وثالثا شجاعته بالتصدى لمسلحي الشكاك.

وينطبق ذات الشيءعلى التوت الذى سرقه من بستان العم ويردينا وأتلف قميصه الجديد والذى يرتديه لأول مرة بعصير التوت، بوضع كميات كبيرة منه فى جيب القميص، منسبا أياه، أي التوت الى البابليين، تحديدا إلى القصة التى كتبها الشاعر الروماني أوفيد.

لم يلجأ المؤلف الى تطوير أحداث الرواية بشكل متسلسل ومنطقى، وأنما كالمسرح الملحمي اعتمد على تطوير أحداثها بطريقة القفزات، وعلى هذا الأساس فأنها تستغرق 5500 سنة، وذلك بعد اضافة 2000 سنة بعد الميلاد الى 3500 سنة قبل الميلاد التى اثبتت التنقيبات الاثرية فى تل قصرا بعنكاوا ان المنطقة كانت مأهولة منذ تلك الفترة.

وعلى الرغم من وجود اكثر من مئتي صفحة بين الفصلين الموسومين (بدلا من المقدمة الاله والقديس) و(بدلا من النهاية شربل)، فأن الحدث لا يجري إلا في هذين الفصلين، إذ تبدأ الرواية وتنتهي بنفس الحدث.

والنصوص التي تبني تقنيتها بهذه الصيغة تصنف ضمن النص الدائري، إلا أن قراءة هذا النص قابلة للتأويل بمختلف الاحتمالات، لأنه ينضوي تحت لواء النص المفتوح.

والسؤال الذي يفرض نفسه بإلحاح هنا، وتصعب الأجابة عنه، لعدم وجود تيار أو اتجاه روائي باسم الرواية القومية، هو نزوع هذه الرواية في هذا المنحى، لتكون أول رواية قومية عربيا وعالميا.

توظيف المعتقدات والأساطير البابلية كمنحى أركيولوجي

في ذكرى رحيله

بابلو نيرودا.. شهيد الفكر الثوري

غريب دوحي

في أحلك أزمة حينما يزحف الظلام على العالم تبقى لامعة عيون الأطفال وقصائد الشعراء. على طول امتداد الشاطئ الجنوبي للمحيط الهادىء تقع جمهورية تشيلي، خيوط الشمس تغازل سواحلها باعثة الدفء وألوان الطيف الشمسي التي تلون تلك الشواطئ وحيث تمتد جبال الانديز التي تحتل ثلث مساحة البلاد، انها لوحة رائعة نسجتها يد الطبيعة حملت نيرودا أن يصفها بتلك النشوة الفريدة التي تسكن الشعراء حين يواجهون الطبيعة وجهاً لوجه فيرسمون صورتها بأجمل ما يكون.

يقول نيرودا واصفا أمريكا اللاتينية بأنها محيط لا نهائي من الخضرة والمياه والصخور والحياة الراعشة، قائلا:

يا امريكا، يا معبرا من شجر
ايتها العليقة البرية بين البحار
انك من القطب إلى القطب تهدهدين الكنز الأخضر
غاباتك الكثيفة، انها غابات حتى تفنى النار والفأس
وقمم زرق كأسنان التنين الحديدية

نيرودا... تاريخ حافل بالعطاء الإنساني

ولد نيرودا وسط تشيلي عام 1904 عندما كانت أمريكا اللاتينية ساحة صراع بين التقدمية والرجعية وكانت تحيط بها مخاطر المطامع الأجنبية، منذ صباه مال إلى الشعر فكان شعلة وهاجة تنير دورب العتمة للمناضلين من أبناء وطنه، نشر أول قصيدة له وهو في سن الرابعة عشر من عمره بعنوان "عيناي"، وبعد خمس سنوات نشر اول ديوان بعنوان "شفقيات" وفي عام 1945 أصبح عضوا في برلمان بلاده عن منطقة مناجم النحاس ولكن سلطات بلاده أخذت تضايقه محاولة إبعاده عن مهماته هذه كونه يمثل الطبقة العاملة في البرلمان فاضطر إلى الخروج من تشيلي وحين عبر الحدود صدر أمر باعتقاله كونه ناشط شيوعي وعضو في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في تشيلي، بعد عدة سنوات حيث هدأت الأوضاع في بلاده تزوج من المرأة التي احبها وتغنى بها في إشعاره وهي "ماتيلدا" وهكذا كان الشعر والحزب هاجسان لا يفارقانه حتى انه حاز على الدكتوراه الفخرية من جامعة اوكسفورد ونال العديد من الجوائز التقديرية، ووصفه أدباء عصره "بأنه الشاعر الذي لا يمكن مقارنته بأي من شعراء الغرب وانه شاعر سبق عصره.."

في عام 1971 نال جائزة نوبل للآداب اعترافا بنتاجه الأدبي وإبداعه في مجال الشعر حيث كان شاعرا ثوريا ملتزما لقضايا شعبه وشعوب العالم التي كانت تناضل ضد القوى الاستعمارية آنذاك.

وله دواوين أخرى مثل "نشيد العالم" و "كل الحب" وقد امتاز شعره بنزعة اجتماعه ثورية.

ضحية الفاشية الجديدة

في عام 1970 أعلن في تشيلي عن نية الحكومة القيام بانتخابات لانتخاب برلمان ورئيس الجمهورية وشكلت على اثر ذلك كتلة الجهة الشعبية التي تألفت من الأحزاب اليسارية والديمقراطية وفي مقدمتها الحزب الشيوعي وكان مرشح هذه الجبهة الماركسي سلفادور اللندي الذي فاز في الانتخابات فكان أول رئيس منتخب خارج إطار دول المعسكر الاشتراكي. لقد أنجزت حكومة الوحدة رغم قصر عمرها انجازات تستحق الذكر فقد أعاد اللندي العلاقات المقطوعة مع كوبا وأقام علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي والصين وقام بتأميم عدد من المؤسسات الامريكية في تشيلي وعمل على البدء بقيام إصلاح زراعي، وكان برنامجه السياسي يقوم على إقامة حكم شعبي ذي نظام اقتصادي هدفه رفع المستوى المعاشي للشعب وهكذا انشأت دولة ماركسية في بلدها كان يدور في فلك الغرب غير أن هذه التدابير أقضت مضاجع دول الغرب الاستعمارية فبدأت عملية تطويق النظام هذا بهدف إسقاط هذه التجربة ومنع تكرارها مستقبلا لتأثيرها السلبي على مصالح هذه الدول. فوجئ العالم صباح يوم 11/9/1973 بنبأ قيام انقلاب عسكري فاشي في تشيلي يقوده الجنرال بينوشيت انقلاب دموي رجعي يشبه إلى حد كبير انقلاب 8 شباط الأسود عام 1963 في العراق الذي أطاح بالحكومة الوطنية التي يقودها عبد الكريم قاسم فقد قتل الفاشيون في تشيلي الآلاف وزجوا بمثلهم في المعتقلات وأطاحوا بحكومة الوحدة الوطنية واغتالوا رئيسها المنتخب سلفادور اللندي وقد اخذ قادة الانقلاب يبحثون عن بابلونيرودا واعتبروه خطرا عليهم، ترى هل كان نيرودا ضابطا كبيرا ليقود انقلابا مضادا او انه عالم فيزياء او كيمياء ؟، انه شاعر ورجل كبير السن قد تجاوز عمره الستين عاما. لكنهم شعروا بخطورة قصائده وافكاره وهكذا يكون الشاعر خطرا ومهددا من قبل السلطات الفاشية في كل زمان ومكان، ولم يكتفي الفاشيون بهذا بل اتلفوا اوراق نيرودا الخاصة به ونهب بيته واحرقت جميع الكتب التي الفت عن حياته وإعماله الشعرية، لقد أعادوا إلى الأذهان ما كانت تقوم به محاكم التفتيش في اوربا إبان العصور الوسطى ثم اغتال الانقلابيون الفاشست "فكتور جارا" المغني والملحن الشعبي، وتم اعتقال واضطهاد مئات الصحفيين واساتذة الجامعات والطلبة، لقد كان نظام بينوشيت أسوأ كابوس عرفته تشيلي في تاريخها الحديث، وإزاء هذه المعاملة القاسية التي مارسها الانقلابيون لم يستطيع نيرودا تحمل هذه الظروف الصعبة فرقد في احدى مستشفيات العاصمة وتوقف قلبه عن الخفقان بعد "12" يوما من مقتل صديقه الحميم سلفادور اللندي.

لقد أثيرت شكوك كثيرة حول وفاته وهل انه مات مسموما في المستشفى الذي كان يرقد فيه حتى اضطرت الحكومة التشيلية إلى إرسال عينة من بقايا نيرودا إلى اسبانيا لغرض فحصها والتأكد من سبب وفاته حيث ادعت سلطات بينوشيت في حينها انه توفي بسبب السرطان، وهكذا انطوت صفحة مجيدة من تاريخ هذا الرجل وقد دفن إلى جانب زوجته ماتيلدا على ساحل المحيط الهادىء.

وختاما أن في تاريخ الأدب والشعر أسماء لامعة ارتبطت أسماؤهم بمآسي شعوبهم وأوطانهم مثل الجواهري وعبد الوهاب البياتي، وناظم حكمت، لوركا، أمل دنقل، نيرودا، نجيب سرور هؤلاء هم نجوم الأرض الذين وهبوا حياتهم لخدمة الإنسانية ""فالعظماء لا يموتون انهم يغيبون فقط"" ""..فلا تحزن أيها القلب فان وراء الغيوم ما تزال شمس مشرقة.""

كتب نيرودا قصيدة إلى زوجته "ماتيلدا" بعنوان "الملكة" تفصح عن حبه الجارف وما كان يتميز به شعره من رومانسية شفافة يقول فيها:

لقد أعلنتك ملكة
ثمة فتيات أطول منك.. أطول
وثمة فتيات أصفى منك.. أصفى
وثمة أجمل منك.. ثمة أجمل
ولكنك أنت الملكة
حين تخطرين في الطرقات
لا يتعرف عليك أحد
لا أحد يرى تاجك البلوري
لا أحد يرى البساط الأحمر الذي تخطرين عليه
حين تمرين
البساط الذي لا وجود له
وحين تظهرين تهدر جميع الأنهار في جسدي
وتهز النواقيس عنان السماء
وثمة نشيد يملأ الدنيا طولا وعرضا
أنت وأنا فحسب
أنت وأنا فحسب
يا حبيبتي نسمعه

رواية «الحلم السلتي» لماريو فارغاس يوسا

النقص المتجسد في القيم والأخلاق والتاريخ

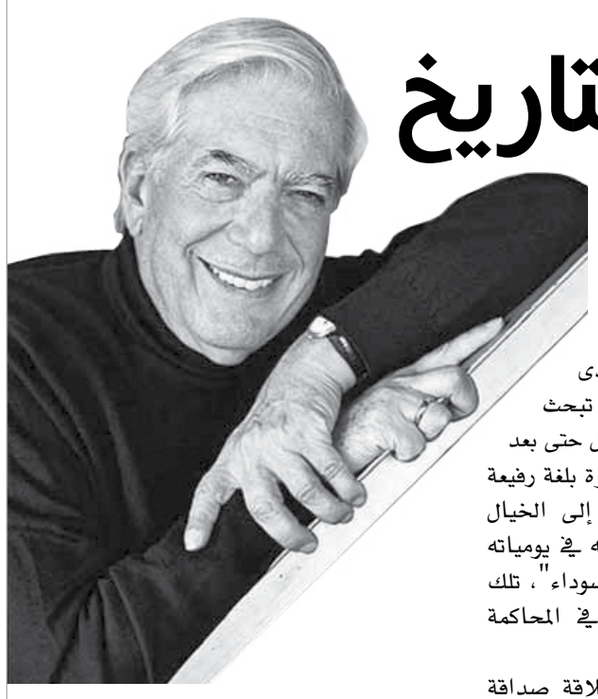

محمد حيّاوي

ماريو فارغاس يوسا، الكاتب البيروي الأمريكي اللاتيني الفائز بجائزة نوبل للأدب في العام الماضي يستعد لإصدار روايته الجديدة "الحلم السلتي" عن دار فابر اند فابر للنشر،

وتبحث الرواية الجديدة في تحديد هياكل السلطة وصور المقاومة والتمرد وتدمير الذات، من خلال تسليط الضوء على حياة الديبلوماسي الإيرلندي والمتمرد لاحقاً "روجر البابية" الذي أعدم من قبل البريطانيين في آب/ أغسطس من العام 1916 بعد محاولة لتهريب أسلحة من ألمانيا إلى أيرلندا، كما تسلط الرواية الضوء على رحلته إلى الكونغو في محاولة للبحث عن حضارات الشعوب الأصلية فينتهي به المطاف في عالم القتل والاستغلال الشنيع، وسرعان ما تظهر الرواية أن البابية، المكلف أصلاً كتابة تقرير مفصل عن الاستغلال في الكونغو، واحد من الناشطين في مجال حقوق الإنسان، ليس في الكونغو فقط لكن أيضا في منطقة الأمازون في جنوب أميركا وفي إيرلندا مسقط رأسه حيث كان اضطهاد الناس بسبب معتقداتهم على أشده، وحيث يكسب البابيه قدراً كبيراً من الإحترام نتيجة لمواقفه تلك، فهو كما تظهره الرواية الملحمية، رجل شجاع يمتلك الجرأة الكافية لفضح الإستغلال.

لقد سافر لوسا إلى مدينة بينتونفيل في مقاطعة كيري الإيرلندية حيث أعتقل "البابيه" بحثاً عن ما اسماه جذور "الحلم السلتي" نسبة للعرق السلتي القديم وهو ما يعتقد الجذر العرقي الأوّل المنقرض للإيرلنديين ويعود أصله إلى الشعوب الهندو أوروبية القديمة المتحدرة من بحر البلطيق وهم الجذر العرقي للشعوب الجرمانية والأغريقية الأولى.

وتحول ماريو فارغاس لوسا إلى أسطورة في عالم الكتابة باللغة الإسبانية بعد ان أصدر أكثر من ثلاثين كتاباً تضمنت روايات ومسرحيات وكتابات أسفار وسّير بما في ذلك روايتيه الأشهر "حديث في الكاتدرائية" و"البيت الأخضر"، قبل أن يحظى بجائزة نوبل للأدب في العام 2010، وهو الأمر الذي سلط الأضواء بشكل واسع على نتاجه الأدبي الثر والغزير، وتسعى دار فابر أند فابر حالياً لرفع نسبة قرّاءه بالغة الأنجليزية من خلال إطلاق روايته الجديد من لندن مطلع العام المقبل، في حين ستصدر الطبعة الإسبانية في الخريف ويتوقع لها رواجاً منقطع النظير سيما وأن دار فابر أند فابر اطلقت حملة واسعة للتعريف بتلك الرواية والمعلومات المثيرة التي تستند إليها، وبدأت هذه الحملة فعلياً من خلال افتتاح جناح خاص لماريو فارغاس لوسا في معرض الكتاب الدولي الأخير في فرانكفورت الألمانية تضمن الكثير من المعلومات عن الرواية الجديدة وطريقة دمجها الفذة بين الجانبين التاريخي والخيالي، كما حضر المعرض الكاتب نفسه الذي أشرف أيضاً على إطلاق تصميم غلاف الرواية بنسخته الإسبانية للجمهور والصحافة.

لقد خصص الكاتب الفائز بجائزة نوبل ثلاث سنوات من حياته لدراسة حياة "روجر البابية" وتتبع آثاره في أفريقيا وأميركا اللاتينية ومسقط رأسه إيرلندا، كما استعاد وقرأ جميع الصحف المؤرشفة التي تحدثت عن قضيته مطلع القرن الماض، يقول لوسا عن تجربته تلك "لا أذكر متى وأين وجدت هذه الشخصية في الحقيقة، أعتقد أن سيرته وردت بشكل أو باخر في السيرة الذاتية لجوزيف كونراد، وقد أثار فضولي بشكل غريب، خصوصاً عندما علمت أنه كان في الأمازون، وتحديداً في الجزء البيروي من الأمازون، ومن يومها بدأت البحث عن كل ما يمت له بصلة، حتى تلبسني هاجس أسمه البابيه صار يأكل ويشرب وينام معي".

ويتصدى البابية، وهو دبلوماسي بريطاني من اصل إيرلندي، للمعاملة السيئة والرهيبة التي يتعرض لها العمال من السكان الأصليين في الكونغو من قبل الحكومتين البلجيكية والبريطانية، قبل أن يرسل للتحقيق في حالة العمال الهنود الذين يعملون في استخراج المطاط في منطقة الأمازون في مقاطعة بوتومايو على الحدود بين كولومبيا وبيرو.

ويعتقد لوسا أن "روجر البابية" واحداً من أوائل الأوروبيين الذين أمتلكوا إدراكاً واضحاً لأساليب الاستعمار الرثة وشجب انتهاكاتها، وللأسف ينتهي به المطاف في المعتقل الذي يمضي فيه عدة اشهر، قبل أن يحكم عليه في النهاية بعقوبة الإعدام شنقاً حتى الموت بتهمة الخيانة، بعد محاكمة مثيرة هزت المجتمع الانجليزي آنذاك وصدمت الرأي العام نتيجة لبثها على الراديو بشكل يومي وتابعتها الصحف البريطانية بشكل مكثف وحاولت إلصاق عديد التهم به مثل إضطرابه النفسي ومثليته الجنسية، وهي اتهامات لم تتأكد صحتها على ما يبدو وعدها البعض جزءاً من حملة كيدية شنتها المخابرات البريطانية آنذاك لتشويه سمعة الرجل. وقال لاي براكستون، مدير تحرير دار فابر أند فابر للنشر، في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب "لقد اعتدنا على الكثير من الإثارة في كتب ماريو فارغاس لوسا، لكن روايته الجديدة ستكون واحدة من أفضل أعماله ونتوقع لها أنتشاراً واسعاً في كافة أنحاء العالم".

إن رواية "الحلم السلتي" التي تأخذ اسمها من عبارة وردت في أحدى القصائد التي كتبها البابية نفسه، تبحث في حياة شخصية ظلت مثيرة للجدل حتى بعد ما يقارب القرن على أحداثها المثيرة بلغة رفيعة تجاوزت حدود التاريخ الحقيقي إلى الخيال التاريخي الذي جسده البابيه نفسه في يومياته السريّة التي أسماها "اليوميات السوداء"، تلك اليوميات التي استخدمت ضده في المحاكمة الشهيرة.

ومن الغريب أن تربط البابيه علاقة صداقة وطيدة مع الكاتب البريطاني جوزيف كونراد عندما خدم الأثنان في الكونغو حيث كان يعمل الثاني لصالح شركة السكك الحديد في ذلك البلد الأفريقي، وأكتشف فارغاس لوسا تلك الصداقة لأوّل مرة عند قراءتة لسيرة جوزيف كونراد التي كتبها أواخر القرن التاسع عشر، وتظهر هذه السيرة تقاسم البابية وكونراد غرفة في الكونغو، ويظهر تأثير تلك الصداقة الكبير في وقت لاحق على كونراد نفسه عندما كتب روايته الأشهر "قلب الظلام"، ويعترف فارغاس لوسا بتأثره الكبير بكونراد الذي يعده واحداً من خمسة كتاب أثروا في تجربته الأدبية إلى جانب كل من غوستاف فلوبير، ويليم فوكنر، لو بلان، وفيكتور هيجو.

ولعل الجديد في رواية فارغاس لوسا الجديدة ، "الحلم السلتي" هو كونها "محاولة لاختراع روائي في حدود العالم التاريخي الحقيقي" تبحث في مصير رجل عد في زمنه بطلاً وخائناً في آن وهو ابن ضابط بريطاني بروتستانتي أنغليكاني تحول إلى أسكتلندي، إذ كان البابية إيرلندي نموذجي حمل وجهات نظر سياسية غير مألوفة وصلت حد الدعوة إلى إندماج إيرلندا في الامبراطورية البريطانية، قبل ان يغير معتقده السياسي هذا عندما زار الكونغو في العام 1890 وشهد فظائع الحكم الاستعماري هناك، حيث اطلع على التدمير المنهجي للثقافات الأصلية على يد الإمبراطوريات الأوروبية، فيبدأ العمل على فضح تلك الفظائع التي ارتكبت من خلال نشر تقريره عن حالة الكونغو، الأمر الذي دفع الحكومة البريطانية لإرساله إلى منطقة الأمازون للتحقيق في ممارسات شركات المطاط التي تعمل تحت رعاية بريطانية هناك، حيث يجد فظائع مروعة مثل تلك الموجودة في الكونغو، وتدفعه تلك الأحداث لتغيير معتقده السياسي والإيمان بطروحات القوميين الإيرلنديين المتطرفة التي يحكم عليه البريطانيون وفقها بالإعدام، ولعل افضل وصف يمكن أن توصف به تلك الرواية هو وصف لوسا نفسه الذي أسماها برواية "النقص المتجسد"، ويعني هنا النقص في القيم والنقص في الخلاق وربما حتى النقص في التاريخ.

باريس محتلة ـ العذبة والقاسية

صباح رائق في البربرية

كتابة : أيان بوروما
ترجمة : صادق باخان

يستعرض الباحث ايان بوروما يوميات هيلين بير وفيليبيه جوليان، الخطيبان اللذان عاشا في باريس تحت الاحتلال النازي لباريس، اديب واعد وطالبة في السوربون تروي اليوميات قصة معاناتهما عندما كانت الجزمة النازية تسحق شوارع باريس والفظاعات التي ارتكبها الجنود بحق الناس، انها قصة تراجيدية تستحق تحويلها الى فيلم سينمائي.

صدر الكتاب حديثا بمناسبة ذكرى تحرير باريس من الاحتلال النازي فنعرف من الكتاب ان هيلين بير كانت تبلغ من العمر وقتذاك الواحدة والعشرين من عمرها وتدرس الادب الانجليزي في السوربون، كتبت في يومياتها تقول (هذه اول مرة اشعر فيها باني حقا اتمتع باجازة، الطقس رائع ومتالق، عاصفة الامس حملت معها هواء منعشا، الطيور تغرد وتطلق لغوها، اذن انه الصباح مثلما جاء في قصيدة بول فاليري، كما انه اليوم الاول الذي سارتدي فيه النجمة الصفراء (كان النازيون العنصريون يميزون اليهود بهذه النجمة ـ المترجم)انهما الجانبان عما هي الحياة عليها الان، الشباب، الجمال والنضارة كلها جميعا هذا الصباح الرائق في هذه البربرية وهذا الشر)

ومن جانب فيليبيه جوليان فكان وقتذاك فنانا واديبا ملهما، يكتب في يومياته (غداة قراءتي رواية المساكين شعرت كاني واحد من شخصيات ديستويفسكي مثلما شعرت باني بروستي (نسبة الى مارسيل بروست صاحب رواية البحث عن الزمن الضائع ـ المترجم قبل ثلاثة اعوام، فانا دائما ارى نفسي من خلال الشبابيك الملونة لاعجابي وانا اخشى انه ليس لدي اعمال عظيمة لاغمر نفسي بها، فبعد بلزاك، بروست، ديستويفسكي والكتاب الانجليز فماذا تبقى لي ؟).

محارب قديم افقرته الحرب

مما يثير الدهشة ان يومياتهما ظهرت في نفس التاريخ،الثامن من حزيران 1942 في باريس نفسها، رغم ان كلاهما كانا بورجوازين وطيدين الا ان خلفية بير الاجتماعية كانت اشد فخامة من خلفية جوليان، كانت هي باربسية انحدرت من مدينة بوردو الاقليمية، والدها كان ريموند بير، عالما مشهورا يدير شركة للمواد الكيمياوية بينما خلفية جوليان الاجتماعية ترجع الى محارب قديم افقرته الحرب يدعى سينمونيه وكان فيليبيه يشعر بالخجل لانه ورث اسم جد امه كاميلي جوليان، وهو مؤرخ ذائع الصيت، لقبائل الغال –

كان فيليبيه طموحا ويبرز يومياته بفخر في اثناء تناول طعام العشاء برفقة جان

ان باريس بخلاف بقية العواصم الاوروبية تحت الاحتلال النازي كان يقصد منها بان تبدو طبيعية ومن حيث العلاقة بالاسم كانت باريس تحت حكم حكومة فيشي

> كانت قصائد ريلكه تخيب رجائي وتجعلني أبكي بابتهاج

كوكتو وحلقته، اما فكرة هيلين عن امسية مثالية فكانت تتجلى في الاستماع الى ثلاثية بيتهوفن ومناقشة قصائد جون كيتس مع اصدقائها من السوربون بيد ان الفرق بين هيلين وجوليان هو ان المحتلين فرضوا على هيلين بان تظل يهودية في حين ان جوليان لم يكن يهوديا ولم يكن ذلك هوية سعت اليها هيلين بل بالعكس كان ال بيرس علمانيين يتمتعون بفهم ممتاز وكانت هي تشعر بانها اكثر فرنسية من كونها يهودية، تكتب في يومياتها في 31 كانون الثاني 1943 (عندما اكتب كلمة يهودية فانا لا اقول بالضبط ما اعنيه لان الامر بالنسبة لي بان التمييز غير موجود ولا اشعر باني مختلفة عن بقية الناس ولن افكر قط بنفسي بوصفي عضوا لجماعة انسانية منفصلة ولهذا السبب فاني اعاني كل هذه المعاناة لانني لا افهم الامر الاطلاق).

إهانات يومية

هذه المعاناة التي تشير اليها هيلين تمثلت باهانات يومية، رعب ترحيل الاجانب والتعذيب وربما الموت فضلا عن تجربة رؤية والدها وهم يجرجرونه الى معسكر الاعتقال ورؤية الامهات والجنود يجردونهن من اولادهن ورؤية اقاربها واصدقائها يختفون من دون ان يتركوا اثرا –

مما يلاحظ انه ليس ثمة مشهد واحد من هذه المشاعر يتولى فيليبيه جوليان تصويره في يومياته ولا يعود ذلك لانه يختزن تعاطفا مع النازيين وانما يعود لان اهتمامه يتجه الى ناحية اخرى، ولهذا نجده يكتب في كانون الثاني 1943 يقول (بعودة صديقي كليرس وغريدي يوم الاثنين فاننا رحنا نتناول طعام الغداء في مطعم غريدي، اذهب واجد قصائد ريلكه مع كتبي فاجدها بمجموعها تخيب رجائي ومع ذلك فان تقديمها يجعلني ابكي بابتهاج).

اكيد قد يظفر القارىء من يوميات جوليان بانطباع بان الحياة في باريس في اثناء الحرب كادت تكون طبيعية وهو من النادر ما ياتي على ذكر الالمان، كان يعوزهم الطعام ولكن شيئا ما كان يمكن ان يندفع بسرعة في الحفلات التي يحضرها الشباب المحبون للفن.

فظائع

وبطبيعة الحال لم يكن جوليان بالضبط ممثلا للسكان الفرنسيين بيد ان الانطباع عن ان الحياة كانت تمضي وبان الفظائع التي جرحت ال بيرس واخرين يمكن تجاهلها بامان من قبل الذين لم يتم وصمهم بالنجمة الصفراء فان هذه الفظائع لم تكن مزيفة تماما –

ترحيل الاجانب

مع ذلك نرى سيدات طاعنات في السن وهن يجلسن في حدائق القصر الملكي ونرى ايضا مقهى في شارع الشانزليزيه وهو محتشد بنساء باريسيات انيقات وهن يستمتعن بقليل من النبيذ كما نرى شبابا يغتسلون في نهر السين وسيدات انيقات في سباق الخيل المقام في اب من العام 1943 عندما كانت عمليات ترحيل الاجانب تجري بسرعة ونرى الشوارع خاليات من السيارات ونرى رجالا المان ونساء المانيات وهم في بزاتهم العسكرية يشربون القهوة ويقدمون تجلتهم لنصب الجندي المجهول الواقع عند قوس النصر.

ازاحة ضجيج الجزمات

كان ينبغي اعادة افتتاح المسارح والنوادي الليلية لمجرد ان يظهر الفرنسيون للالمان اصرارا ان لم يكن تفوق الحياة الفرنسية عن طريق القراءات الشعرية وعرض المسرحيات التراجيدية ليظهروا لهم بان لا شيء قد انتهى، انهم يعشقون، يكتبون، يرقصون ويواصلون عرض اعمالهم لمجرد ازاحة ضجيج الجزمات التي تملاء الشوارع ويؤكدون بان قوى الحياة هي فوق قوى الموت.

واذا كان هذا الموقف لم يشاطر في جميع الفنانين الفرنسيين فان جان كوكتو شاطر فيه، ورغم ذلك ومهما حاول كوكتو المضي في حياة فنية طبيعية في اوقات غير سوية فقد تبدو بعض ملامح البوهيمية في زمن الحرب غريبة حتى بمقاييسيه هو، وكان احد الاماكن المفضلة اليه في اثناء الحرب هو مبغى ليتوال دي كليبر يقع في شارع فيلموست وكانت صاحبته مدام بيلي وكانت المغنية ادبث بياف تقيم تحت سطح هذه المبغى وكان الممثلان السينمائيان ميشيل سيمون وموريس شيفيليه ضيفين دائمين عليه.

كان الطعام الذي يتم الحصول عليه من السوق السوداء رائعا وكانت اديث بياف تعتمد على غنائها للحصول على طعام عشائها، وبالنسبة لجان كوكتو فكان المبغى ملاذا له في الاوقات العصيبة ولم يكن المبغى مجرد ملاذ له ولاصدقائه بل كان الضباط الالمان بملابس مدنية زبائن اوفياء للمبغى مثلما كانوا عملاء للغستابو.

مناطق رمادية

وبالعودة الى هيلين بير فلم تكن ثمة مناطق رمادية لها ولم يتملكها شعور بانها منعزلة عن بقية الناس بوصفها يهودية لكن هذا الجانب لم يشكل فرقا او اختلافا لاعدائها وبالنسبة لها ايضا حتى غدا الوضع لها مستحيلا تماما ونرى بان الكفاح لتمضي حياة طبيعية كان مسالة الاعتداء بالنفس.

بعد ان حظرت عنها الدراسة بموجب قوانين اصدرتها حكومة فيشي في العام 1942 فانها بقيت تعمل على اكمال اطروحتها لنيل شهادة الدكتوراه التي حملت عنوان النزعة الهيلينية للشاعر جون كيتس، ولهذا رفضت مغادرة مسقط راسها الحبيب في باريس ولما قدموا لها عرضا لاطلاق سراح والدها من سجن دراسي اذا وافق اهلها على الهجرة كتبت هيلين في يومياتها في الثاني من تموز 1942 تقول بان المغادرة كانت ستعني لها (التخلي عن الكرامة) وان الهرب بالنسبة لها كان شكلا من اشكال الهزيمة كما ان الهرب كان سيعني لها (التخلي عن شعور المساواة في المقاومة الكاملة لهذا الخراب المروع).

من بين جميع المداخل ليومياتها يوجد فيها واحد ينغرز في عقلي أكثر من أي مدخل اخر وكتبته هيلين بتاريخ 25 تشرين الاول 1943 تقول فيه بان القلق يستحوذ على عقلها مع فكرة انها ربما لن تكون حاضرة في باريس عندما يرجع خطيبها جوليان (لكنه ليس الخوف بمثل هذا لأنني لست خائفة مما قد يحصل لي واعتقد اني ساقبل بالامر لأنني قبلت بالكثير من الظروف القاسية وانا لست واحدة ممن يهربن من التحدي لكنني اخشى ان حلمي الجميل قد لا يثمر قط وقد لا يتحقق ابدا كما اني لست خائفة على نفسي وانما انا خائفة على شيء جميل قد لا يحصل).

> كانت السياسة الالمانية تذهب إلى تشجيع الحياة الثقافية في باريس ما دامت غير معادية

> كانت أمسية هيلين المثالية هي الاستماع لثلاثية بتهوفن ومناقشة قصائد جون كيتس

الفيلسوف والباحث حسام الآلوسي

فلاسفتنا فيضيون مثاليون وليسوا ماديين

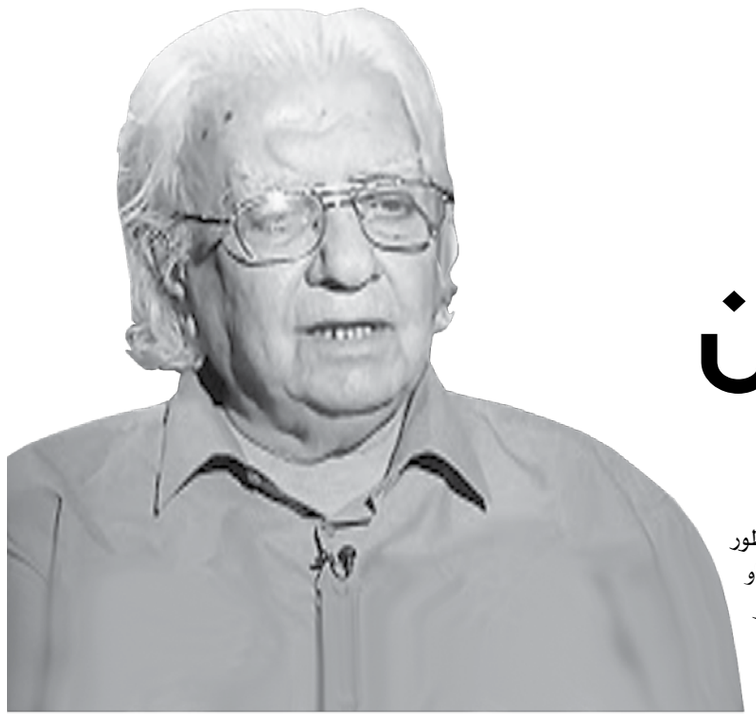

حاوره: سعدون هليّل

الدكتور حسام الآلوسي من كبار المفكرين، في المجال الفلسفي في العراق والعالم العربي، وهو من الذين يملكون رؤية واضحة عن تطور تاريخ الوعي النفسي والفكر العربي المعاصر، والآلوسي لا يعرف الحلول الجاهزة والاجابات المسبقة ولا يؤمن بالمطلقات الانسانية او الدوائر المغلقة للفكر، منذ ستينيات القرن الماضي، فالقارئ سيجد في هذا الحوار مفكراً موسوعياً في تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر العربي المعاصر، له منهجه وخطابه الخاص به، اذ نحن نتحاور مع فكر عقلاني متجدد في الوعي الفلسفي وعلم المعرفة وعلم القيم الانسانية قولاً وفعلاً، مارس الدرس الفلسفي وبشكل خاص في كتابه الشهير: "حوار بين الفلسفة والمتكلمين" و "دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي" و "الفلسفة والانسان" و" حول العقل والعقلانية العربية".

ويفي خضم زحمة الاسئلة التي تدور في اذهاننا ارتأينا على د. حسام الالوسي ان يخبرنا من اين نبدأ السؤال فاجاب مشكورا من حيث تريدون على الرحب والسعة.

• قرأنا بعض الدراسات للدكتور حسام الالوسي، في نقد بعض المفكرين العرب – حسين مروة، صاحب كتاب- النزعات المادية في الفلسفة الاسلامية، وطيب تيزيني "من التراث الى الثورة" وكذلك المفكر محمد عابد الجابري "بنية العقل العربي" كيف ينظر المفكر التنويري حسام من خلال منهجه لهذه المشاريع الفكرية الكبرى؟

الحقيقية النقد مستمر، وتناولت الخطاب الاسلامي عند بعض ممثلي اليسار واليمين، وهناك بحث القيته في المؤتمر الفلسفي في مصر، عن مشروع حسن حنفي، وكان من "عشرة اجزاء" يعتقد انه وصل به مرحلة الاجتهاد.

نقدت هذا المنهج، تناولت قضية التراث، وقضية الفكر العربي المعاصر والمشكلات سواء القديمة والحديثة هذا لا يعني رفضه هناك خطوط مشتركة كثيرة، بيني وبين تيزيني وحسن مروة، كانت مؤاخذتي على حسين في كتابه "النزعات المادية في الفلسفة الاسلامية" تروجه على المنهج الماركسي، وهناك كتاب اسمه "الماركسية في التراث" لمجموعة من الماركسيين منهم – الدكتور توفيق سلوم ونايف بلوز، نقدوا منهج حسين مروة، وطيب تيزيني، النقد في الحقيقة نقد مشترك عند الخروج من المنهج الماركسي، لنضرب مثلا على ذلك القارئ في فكرنا الفلسفي القديم الكلاسيك، واقصد بذلك، فلاسفة الاسلام الذين هم فلاسفة، احرار. ليس فيهم مادي واحد، ماذا قال حسين مروة، وتيزيني، جعلوا هؤلاء يقولون بالديالكتيك كيف يكون ذلك، المسألة الاساسية في الفلسفة وفي السؤال ايهما الاصل. لا يوجد بين هؤلاء الفلاسفة، من الكندي الى مسكويه الى اخوان الصفاء، الفارابي، ابن سينا لا يوجد من نستطيع ان نعتبره ماديا، معظمهم، ما عدا ابو بكر بن زكريا الرازي، وابن رشد، الكندي، كل فلاسفتنا حتى الصفويين هم فيضيون هؤلاء مثاليون، حثوا بهذه المثالية، وليس بالمادية، فكيف يكون هؤلاء ماديين، عند حسين مروة، وعند طيب تيزيني، لانهم مثلا، قالوا بان الزمان ازلي وبان العالم ازلي بالزمان. او بان الهيولي ازلية الحقيقة هذه.

فالعالم اذا قديم بالزمان ليس له بداية، زمانية في الوجود ولا الحركة وكذلك ماديته، من اين جاءت مادته وزمانه وحركته ثم عندهم مصطلح العالم القديم بالزمان يعني وجود العلة والمعلولة معا لا انفصال بينهما فالعلم دائما الوجود لكنه ليس قديما مستقلا بذاته، يعني وجوده مأخوذ، هو ممكن الوجود يفرقون الوجود عن الماهية ماهية العالم فلا بد له من وجود فاذا الوجود منحة اذا هؤلاء في قلب المثالية حتى ولا مثالية موضوعية مثل ما عند افلاطون.

• هل يحق لنا ان نقول ان ما طرحه حسين مروة، وطيب تيزيني ومحمود العالم، وهادي العلوي، وهشام غصيب بان فلاسفة الاسلام عقلانيون؟

– ليس هناك مقارنة قد يكون مادياً وقد يكون مثالياً، العقلاني يستخدم العقل والحجة والنقاش والتحليل والاعتماد على مصدر المعرفة يعني مصدر المعرفة بشري وعندما نقول ان طرق المعرفة هي الوحي، العقل، العقل حس وتجربة وعندما نقول عقلي او عقلاني هذا هو المقصود حتى تتحدد الالفاظ.

• ايعني ذلك ان هؤلاء عقلانيون؟

عقلانيون نعم. الحقيقة عند المثاليين ان الوحي هو مصدر المعرفة. ان الانتقادات على هؤلاء كثيرة، مثلا يأخذون الاسمية والواقعية في نظر المعرفة يقولون اسميون، اذا انهم ماديون لا يجوز، هذه ليست مسألة رئيسية.

قد يكون الانسان مثالياً. وهو اسمي وقد يكون ماديا وهو اسمي والعكس بالعكس من هذا المنطق هناك نقاط من هذا النوع الحقيقة ان كتاب حسين مروة– النزاعات.. فيه مادة تعزل الادلجة والتوفيق يبقى، كتاب جيد من حيث المصادر والمراجع، على عكس كتاب تيزيني، وهو مشروع كبير كتاب تيزيني نجده وقد غلبت عليه الادلجة والاحكام، وقلة المصادر والمراجع، لكن كتابه "من التراث الى الثورة" فيه منهجية ممتازة، ونقد للمناهج كلها، في زمانه ولكن في النصف الاخير من الكتاب، عندما يريد ان يطبق نفس المنهجية نجده يقع في نفس العيوب والأخطاء التي انتقد بها المناهج الاخرى، مثل التجزئية او الادلجة او غيرها.

• نشرت في جريدة الاديب البغدادية، جزءاً من مذكراتك وذكرت عن كيفية قراءة النص من خلال المنهج، وكتبت منذ بداية الستينيات، وسبقت الدكتور نصر حامد ابو زيد في ذلك منذ زمن بعيد، هل توضح الامر لنا؟

الحق انها منشورة متأخراً على ابي زيد، المنهج كان جزءاً موجوداً في مقدمة كتابي "دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي" بعدها اصبح اكثر وضوحاً عندما التقيته في مؤتمر عبر محاضرة فلسفية في عمان– بعنوان " حرية اللا حرية" لكن في الواقع هو مخطوط قديم بـ 60 صفحة حين كنت طالب دكتوراه في جامعة كمبردج وكان مؤتمر قد عقد في لندن حيث يجمع جميع الخريجين او في دور التخرج في اوربا، وكان موضوعي قد اغضب قسماً من المستمعين، الشيء الجيد او المثير في المنهج كيف نقرأ النص يعني "ابو زيد" الشيء الذي جاء به، وانا قلت له ذلك قبل سنتين حين التقيته في الاسكندرية، واشرت الى ذلك في محاضرة سنة 1961 في لندن وكنت طالبا.

ان النص ابن زمانه ومكانه ويقرأ اولا من خلال لغة العصر، لغته والطروحات الفكرية عن الوضع الاجتماعي هل هو مجتمع رعوي؟ ام مجتمع زراعي؟ هذه مجموعة ضوابط تجعلنا نقرأ النص قراءة بحيث يكون النص وهو سيسير مع الزمن الى ما لا نهاية، وهناك تفسير وتأويل، وتكوين، التأويل معروف، التفسير معروف، اما التكوين، وكانت المسألة ما هي الاسباب النفسية، وراء مثل هذا العمل، ان يضع النص مفتوحا الى اخر الزمان، اما الايمان فهو ابن الوحي، صالح لكل زمان ومكان، وعندها يستشعر ان النص اصبح عاجزا عن مشكلات الواقع الحديث. الفكر الحديث يضعه على النص ويخلط الاوراق ويصبح الزمن الماضي، حاضرا وهذا تشويه للماضي وتشويه للحاضر.

ما هو الماضي؟ الماضي احداث استوجنتها اسباب وجاءت لمعالجة مشكلات معينة. الحاضر له منظومته، وله بنيته، وهكذا كانت العملية التي استعملتها، وطبقتها على موضوع حقوق الانسان، بالنسبة للاسلام، وبالنسبة للنظم الحديثة – هيئة الامم المتحدة.

• ان كتب د. نصر حامد ابو زيد، اثارت ضجة كبرى في الوسط الاكاديمي والثقافي، وخاصة موقف الدكتور عبد الصبور شاهين ومحمد عمارة والفكر الاصولي، والسؤال ما هو رد الفعل على نفس منهج الدكتور نصر حامد، ومنهج حسام في بداية الستينات.؟

الواقع كان الرفض من اكثرهم، وكان الدكتور جلال امين، ابن المؤرخ احمد امين قال انكم تستطيعون ان تردو عليه ولكن ليس فقط شتائم، ورفض لهذا انتصر عليكم. اعتقد ان كتاب نصر ابو زيد، كتاب اعتيادي، وان قسم اللغة العربية اجازه، لكن عبد الصبور شاهين اعتبره خروجا عن النص.

• هناك في العالم العربي مفكرون كبار، ويقال فلاسفة؟ السؤال اهناك فلاسفة او مفكرون. وهل وجد فيلسوف في العالم العربي المعاصر؟

– هذه المسألة طرحت كثيراً في المؤتمر ات الفلسفية قبل ثلاث سنوات كان الموضوع مطروحاً في الجمعية الفلسفية المصرية، وكل ادلى بدلوه، وقدمت بحث عن انتاجنا الفلسفي، اهو ابداع ام اعادة صياغة؟ هل يوجد فلاسفة عرب الآن، ام هم مفكرون وهذه هي عقدة الخواجة... ونقول الاجتماع الفلاني، المؤرخ الفلاني، الاديب الفلاني لكي لا نقول الفيلسوف الفلاني فمن اختصاصه علم النفس، يسمى عالم النفس ومن اختصاصه الادب يسمى اديباً، لكن في الفلسفة يتحرجون ويطلقون كلمة "مفكر" باعتبارها متواضعة، والحقيقة ان عبد الرحمن بدوي، انه قدم جديد الى الوجودية ولا اعتقد ان هذه الاشياء كما عرفتها موجودة لدى أي فيلسوف وجودي آخر حتى في العالم الغربي التي تبناها وفي موسوعته الفلسفية قال عن نفسه انه فيلسوف مصري المجتمعون هناك انقسموا... قسماً منهم قالوا لدينا فلاسفة مثل ما عندنا ادباء، وعلماء اجتماع. مثل زكي نجيب محمود، وفؤاد زكريا، لماذا لا نسميهم فلاسفة كلمة فيلسوف عندنا كبيرة جداً، ويستعار عنها بكلمة مفكر فلماذا نطالب فلاسفتنا ان يبدأوا من الصفر، وان يأتوا بجديد مطلق، نعم في أي شيء ان يبدأ من صفر الحضارة وصفر المواصلات وصفر اللغة وصفر الفكر وصفر العلم وصفر الاخذ والعطاء.. الخ. نعم عندنا فلاسفة بمستوى وجودنا لكل، وجودنا الاجتماعي والثقافي والسياسي وبمستوى كياننا العربي المتجدد عبر لغتنا وتراثنا وتاريخنا وذاكرتنا التاريخية، وليس من المعيب لفلسفتنا المبدعة ألا تكون كذلك.

• زكي نجيب محمود، فؤاد زكريا، وصادق جلال العظم، حسام الآلوسي، وغيرهم.. يقال ان هؤلاء مفكرون. لكن الدكتور مراد وهبة صاحب كتاب "الحقيقة المطلقة" الوحيد في العالم العربي هو الذي يسمى فيلسوفاً؟

– الحقيقة انه لم يدع ذلك بكلام صريح ولا حتى يطلق على نفسه مفكراً، الآخرون هم يطلقون على "فلان" مفكراً، نقدم لكم المفكر الفلاني، حتى كلمة مفكر تعني تواضعاً.

• ما الفرق بين الفيلسوف والمفكر؟

في الحقيقة الفيلسوف يقدم تقريبا مذهبا كبيرا شاملا يغطي كثيرا في موضوع الميتافيزيقيا – الوجود– الاخلاق– لديه منهج معين كأن يكون منهجا تجريبيا او عقليا، هذه عادة حتى ان عدد الفلاسفة في اوربا هي عدد اصابع اليد، كالماركسية، والوضعية المنطقية – الوجودية– هذه المذاهب الكبرى، وسموها ما بعد الحداثة، وما قبل الحداثة، لكن حقيقة الامر، الذي يطلق عليهم كلمة فيلسوف في اوربا كثيرين. لماذا عندما نأتي الى العرب، اذا صار ماركسيا او وضعيا او وجوديا لا يقال له فيلسوفا يعتبروها كبيرة لا بد ان يأتي بفلسفة خارجية عن كل هذه الفلسفات... حتى في اوربا هناك مفكرون وليسوا كبارا وانتجوا كتابا، وشاركوا في النقد الفلسفي وفي المنهج ويمكن ان نطلق عليهم كلمة فيلسوف، وانا بالعالم العربي فانهم يطلقون على الفيلسوف كلمة "مفكر" وهناك بحث طويل التقيته في ذلك المؤتمر، والان ينشر في كتاب اخر في دار الحرية في مصر.

قلبت كل الاراء ومن يقول عنها عندما مفكرون او فلاسفة، وما هي الاسباب.. كيف نخلق فلاسفة الموضوع كبير جدا.

• هل حقا السبب عدم وجود وعي فلسفي، كما يقول زكي نجيب محمود وان الفلسفة العربية هي استنساخ من الفلسفة الغربية؟

هذا الكلام الان اصبح مملا ولا يتكلم به احد وهذا ورد من قبل المستشرقين وليس كلهم بل من بعضهم وهذا ما ورد ايضا على لسان محمد عابد الجابري – زكي نجيب محمود... وراحوا يشيرون الى بعض المفكرين المسلمين مسكويه عند محمد اركون وابن رشد عند محمد عابد الجابري، كذلك عند زكي نجيب محمود او المعتزلة عند بعضهم بقيت الفكرة لا فائدة منها... ولا توجد اعادة للفكر أي جزء في مشكلات الوجود او مشكلات الاخلاق، عندما تدخل في العمق بجزيئات ستجد هناك جديدا وستجد نظرية الفيض ليست نسخة من نظرية.. فيها اجزاء من افلاطون، من ارسطو.. من كل المعطى المفكر السابق الذي كان والحوارات والجدل بين يحيى النحوي مثلا، للخلق من عدم وبين الذي يقول بقدم العالم، ونظرية الفيض– بروكلس– فورفوريوس– وفلاسفتنا اخذوا من هذا 18 حجة التي قالها– فور فوريوس– لاثبات قدم العالم والمتكلمين وهذا اكثر ما ردده، الغزالي، بان اكثر الفلاسفة اخذوا عن يحيى النحوي الفكرة وطباقها لا يوجد شيء اسمع النسخ... هذا الكلام المستشرقين، والبحوث الحديثة تثبت عكس ذلك.. لو رجعنا الى كتابنا "الحوار بين الفلاسفة والمتكلمين". نجد كل مشكلة من المشاكل القديمة، فيها حوار، ونقاش، اخذ، ورد، لا يعرفه ارسطو ولا غيره شيء من تراكم الزمن ومن المدارس ومن الشرائح السبب انه لم يتقدم عن ارسطو، نحن نحتاج الى قطيعة مع الفكر القديم، وان نبدأ من جديد، والجديد ان الفلسفات والتيارات المختلفة، تبدأ وتترجم الترجمة مهمة ثم مرحلة النقد.. ننقد المترجم وعندئذ يصير لدينا نص فلسفي.

• ما علاقة الفلسفة بالثقافة؟

الفلسفة كانت هي الثقافة في الماضي.. شجرة انقسمت، العلوم، علم الطبيعة، الرياضيات، علم الاجتماع، علم النفس، والبقية لديها مشكلات معينة كان لها تأثير كبير في الماضي ياتي بعد تأثير الفكر والخطاب الديني، يأتي دور الفلسفة في التأثير على الصفوة، واليس في النص، الظروف الاجتماعية في النص، اسباب الحدوث، أي انه مفتوح، ولكن كيف يكون مفتوحاً يأتي ما يستجد في الساحة الثقافية في العالم. فالثقافة لا توجد في فراغ، بل توجد في انسان يحملها ويزاولها، فاذا كان هذا الانسان لا يحقق ادنى درجات الوجود المادي والاجتماعي والصحي فكيف يمكن الحديث عن عقل متفتح متسامح، واخلاقيات وفتن وآداب.

• كتابك "حول العقل والعقلانية في الفكر العربي" طرح منهجاً جديداً ومهماً يسمى بفلسفة التكامل، هو توضح ما هي فلسفة التكامل ومنهجها؟

الكتاب مجموعة بحوث القيتها في بيت الحكمة، وعمان، وفي مصر، وتونس وهو واحد من ثمانية كتب تطبع الآن في دار الخلود في مصر، واحد هذه البحوث في معنى العقل، وما هي العقلانية العربية الكلاسيكية، ماذا انجز العقل العربي خلال اربعة عشر قرناً. ثم ما هي العقلانيات المتاحة الآن عن المفكرين العرب؟ اما نستقبل العقلانية في العالم العربي؟ بحوث الكتاب فيها خطاء كثيرة وعندي نية في ان ارفع احد الفصول هو " العلم وفلسفة التكامل للتضاد" لانه لا مكان له بعد " حرية اللاحرية" لان فيه كثير من الاخطاء. عندما طبع لم اشرف على تصحيحه لان الاخطاء تقلبه رأسا على عقب.

• انتقد المفكر المصري الدكتور نصير حامد ابو زيد حول موقفه من اليسار، واتهمته بانه نقده، يرجعه الى اليمين ارجو توضيح هذا الالتباس؟

ليس كذلك.. هو ينقد اليسار في الخطاب الديني الاسلامي المعاصر، فمثلا حسن حنفي، ينقد اليمين في الخطاب الديني ايضا.. الحقيقة ان نصر خاطب حسن حنفي قائلا: "انك تجاوزت الاصول المنهجية في التحليل وفي قراءة النص، وعبرت النص الى زمنا صار تكوينا، انا قلت له يا ابا زيد احينا تكون اكثر يمنيا وتنتقد حسن حنفي وتكون اكثر يمنيا من حسن حنفي نفسه احيانا متفتحا نحو الحاضر اكثر منك.. ولكن منهج ابي زيد صحيح وكما قلت في محاضرة في سنة 1961 في لندن بمؤتمر الخريجين، حول كيفية قراءة النص الديني واي نص اخر سواء نص بشري ام مقدس.. وما هي الشروط لقراءة النص، لكن لم ينتشر البحث وهو مازال موجودا لديه، لكم اكثر مفاهيمه تسربت في كتاب الجديد حرية اللاحرية" والقيته في سنة 1998 للمؤتمر الفلسفي الخامس – عمان وقلت ان الافكار تتلاقح احيانا والناس المفكرون يصلون الى نتائج متساوية، قلت الى ابي زيد هذا منهجكم انا استعملته في محاضرة لي سنة 1961. فلم يجب او يعلق.

• هناك مصطلحات كثيرة حول نهاية الفلسفة ونهاية التاريخ ونهاية الادب ونهاية الايديولوجيا؟ وما هو تفسير الالوسي لهذه النهايات؟

الحياة دائما مستمرة ولا توجد نهاية لشيء ما اللهم الا اذا بدأت حرارة الشمس تضعف عندئذ ستموت الارض، الحضارات والثقافات والاحياء طالما احياء وهناك بشر وعقول وجامعات وفكر فستوجد ازمات عندئذ، كل شيء يستمر.

نهاية التاريخ عند "فوكوياما" مقصود بها اعلاء النظام الرأسمالي الامريكي بالذات.. نهاية التاريخ عند هيغل تتعلق بـ الدولة البروسية هذه ادلجة، وليست رؤيا علمية، يردون ان يقولوا ما يخص مذهبا معينا او دولة معينة او نظاما معينا ..

لا توجد نهاية للاداب، حركة العدميين في روسيا، الذين قالوا بان لقمة خبز واحدة، احسن من كل شعر بوشكين، وقد اعلن هؤلاء نهاية الفن والموسيقى والشعر، ولكنه استمر والان يزداد.. هذا عطاء بشري ذو فاعلية، ولا يمكن ان ينضب الينبوع. ينبوع الفلسفة والرؤيا.. لكن تقوم مقامه رؤية جديدة.. وفن جديد.. ونظرات جديدة، ضمن جدل الحوار.

• قرأت كتاب، فلسفة التنوير عند اخوان الصفا، للمفكر المصري د. محمود اسماعيل يتهم ابن خلدون في مقدمته ان اخذها من رسائل اخوان الصفا، وفي اعتقاد محمود ان المقدمة تختلف عن كتابة "المبتدأ والخبر" بـ "سبعة اجزاء" علما ان الكتاب احدث ضجة كبرى عند المفكرين العرب وبشكل خاص المغرب العربي، كيف يرى مفكرنا حسام ذلك؟

هذا بالحقيقة نوع من التجني، هذه الجمل والافكار التي استخرجها اخوان الصفا مبالغ فيها، لان هذه الاشياء والمعلومات يتضمنها التراث القديم وهي موجودة فيه اثر تلك العينة نجدها عن الكندي – اخوان الصفا مسكوبة.. وهي من المعرفة الشائعة، اما انه منهج المقدمة، وتفاصيلها وابوابها وفصولها والعلوم التي تناولها.. علم.. علم.. وتكلم عنها ابن خلدون ونظريته في موضوع العصبية في علم الاجتماع السياسي فائض القيمة انا قرأت كتاب د. محمود اسماعيل وجدت انه لا ينطبق على ابن خلدون، وايضا نجدها عند ابن رشد. ابن خلدون قدم نظرية عظيمة في التاريخ، وفي قراءة التاريخ.. وهذا صحيح عندما اتى بكتاب – المبتدأ والخبر، وجدنا مؤرخا عاديا مثل اي مؤرخ عادي.

• د. حسام هل تحدثنا عن العلاقة بين الفلسفة والعلوم الاخرى، هل يمكن ان تكون الفلسفة بديلا عن العلم؟ او بالعكس، هل هما متقاطعان ام يكمل احدهما الاخر؟

اولا ان الفلسفة هي رؤية شاملة واسعة تمتد الى حقول الانسان والمجتمع، والطبيعة. اما العلم فهو مخصوص محدود موضوعا وهدفا بتلك الخصوصية، وعلينا ان نؤكد ام مجموع علوم جزئية لا يؤدي اليا الى موقف فلسفي شامل، لان كل علم سيبقى مؤصلا عن الاخر، من حيث هو معني باشياء مخصوصة ودراسة وقائع محدودة والتناقض المفقود هنا هو الرؤية الشاملة الكلية التي ترتبط الاجزاء في كل، هو حتما اكثر من مجموع الاجزاء.

ان الفلسفة لا تبني هيكلها من العلم فقط، بل تدخل في بينتها كل الخبرة البشرية، كل اشكال الوعي الاجتماعي، فهذه كلها، روافد يأخذ منها الفيلسوف منظورة الشاملة، روافد تتعلق بحياة الانسان والمجتمع والكون كله، من علم، وفن، ودين، وسياسة، واخلاق، وقانون، فضلا عن الخبرة الوجدانية التي يعانيها الانسان وهي خبرة واسعة، ومتجذرة في اللاوعي، وتؤثر في السلوك، وفي الرؤية لكل انسان. لهذا فان طبيعة الحقيقة الفلسفية تختلف عن طبيعة الحقيقة العلمية، وانا اتحدث عن اختلاف المنهج العلمي والفلسفي، وانما اقصد ان الحقيقة الفلسفية بعكس العلمية بعكس جوانب متعددة ومعقدة جدا، تتسع لكل الروافد، نعم الحقيقة الفلسفية، فيها جانب عقلي، منطقي، وجانب علمي، لكن هذا ليس الا جزءا من بنية الحقيقة الفلسفية، حيث تدخل فيها ابعاد مهمة اخرى اجتماعية وايديولوجية وذاتية.

ان القول بان تكاملية العلم/ فلسفية، يمكن ان تتحقق عن طريق، فلسفة العلم، والفلسفة الطبيعية او المذهب الطبيعي في الفلسفة. ومن جهة اخرى هو قول مشروع، ولكنه لا يكفي، ولا يفسر كل مدلولات ومطالب الفلسفة،انها محاولات انقاذ، لكن كليهما يدخل في باب تفسير الكل بالجزء ففلسفة العلم هي جزء من الفلسفة فقط، والمذهب الطبيعي من الفلسفة هو احد مذاهب الفلسفة وكلاهما يقعان ضمن حدود الفلسفة، علم بينما الفلسفة اوسع من ذلك، وتكفي العودة الى خصائصها المعرفة ذلك، وفي كل الاحوال ينبغي ان كل هذا الذي قلنا يبرر، ويؤكد ان الفلسفة والعلم يكمل احدهما الاخر، وانه مهما تقدم العلم فلن يجب الفلسفة، بينما تبقى الفلسفة بدون مستندات العلم وعالم الوقائع ضربا من الخيال، بل والبناء الذاتي الذي يقربها من الاساطير والاحلام.

• في كتابكم ((حول العقل والعقلانية)) حددتم العقلانية بانها منهج او فعل يقوم به العقل مستقلا عن سلطة غير سلطته هو. وذلك يفسر باختلاف الفلسفة عن الدين لكنكم ايضا تحدثتم في نفس الكتاب عن علاقتية تكاملية تعددية ذات مستويات مختلفة، كيف توفقون بين العقلانية كمنهج والعقلانية التكاملية كأطار للعقلانيات المتعددة؟

انا اقصد بالعقلانية هنا وبشكل يزيل كل لبس فعل التفلسف المعتمد على العقل الحر، الذي هو منيع ذاته وفيصل نفسه ومقياس رؤاه فيما يقبل او يرفض، وبشكل اعم تقصد منهج التفكير الفلسفي في مقابل منهج التفكير الديني.

ويمكن ان نضيف ان العقل عام ومشترك بين البشر، ان عام وشامل يحكم ماهيته ذاتها،

الحقيقة عند المثاليين ان الوحي هو مصدر المعرفة

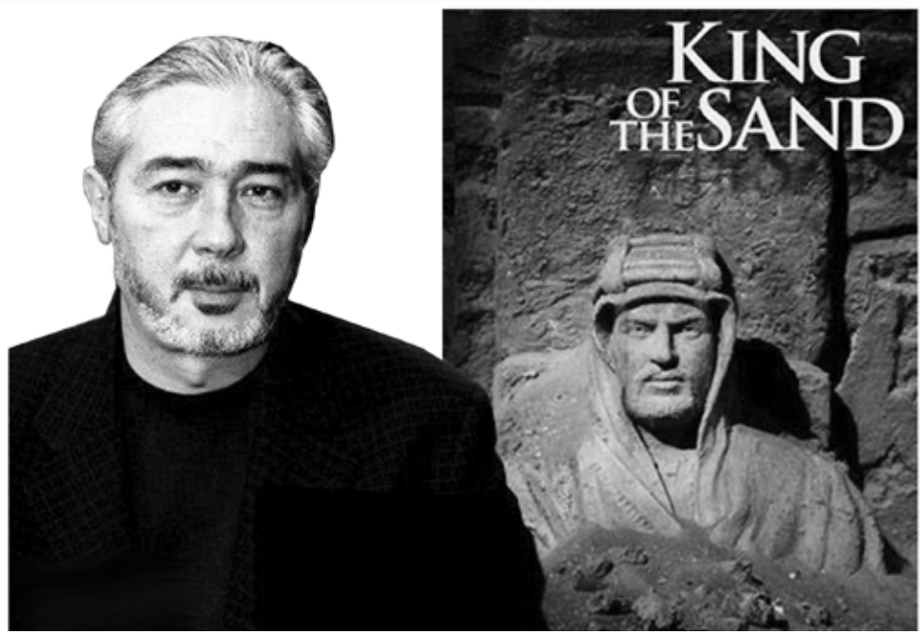

فيلم "ملك الرمال" المثير للجدل

تاريخ العائلة السعودية بين الطموح والطغيان

الطريق الثقافي - خاص

عرض في دور السينما الأميركية والبريطانية فيلم المخرج السوري نجدة أنزور "ملك الرمال" الذي أنتجه بشكل شخصي في مغامرة تنطوي على الكثير من المخاطر، وأثار جدلاً واسعاً في الأوساط السينمائية والسياسية، لجهة تصديه لتاريخ عائلة آل سعود الملتبس، وتداخل التفصيلات التاريخية التي صاحبت تأسيس المملكة السعودي..

شهد الفيلم في عروضه الأولى أقبالاً كبيراً من الجمهور الأميركي والبريطاني، سيما وأنه مصنوع باللغة الأنجليزية وبممثلين غربيين، ويستعرض الحقبة التاريخية في بدايات القرن الماضي، عندما بدأ عبد العزيز آل سعود بغزو القبائل ويقضي على الأمارات التي كانت قائمة في المنطقة آنذاك، وأعماله السيف في القبائل العربية التي كانت ترفض الرضوخ لحكمه، أيضا العلاقة الشائكة بين آل سعود والحركة الدينية المتزمته التي اعتمدها كمحرك لدعوته في شبه الجزيرة العربية ومفاهيمها الدينية المثيرة للجدل.

الفيلم واجه انتقادات واسعة من العائلة السعودية الحاكمة

وقال مخرج الفيلم، الذي كان من المقرر أن يعرض للجمهور في العام الماضي، وتأخر لأسباب فنية، "ان الفيلم يعد من الأفلام الضخمة الانتاج ويعرض حياة مؤسس أسرة آل سعود في المملكة العربية السعودية عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود وعودته من المنفى في الكويت واتخاذه قراره بغزو القبائل العربية واسقاط امارة آل راشد وسلالتها التي كانت قائمة في منطقة الرياض، ثم تحوله إلى نجد وهزيمة عائلة الهاشمي الحاكمة هناك بمساعدة من العميل البريطاني الشهير جون فيلبي .

وأضاف أنزور أن الفيلم تم إنتاجه بجودة عالية ونجوم بريطانيين وأتراك وأيطاليين، وواجه الكثير من المشاكل والعتراضات من قبل الحكومة السعودية التي عدته مشيناً ومسيئاً لتاريخ المملكة، لكن ردود الأفعال من النقاد والجمهو كانت مشجعة للغاية.

وعن أسباب إنتاجه وإخراجه لفيلم «ملك الرمال»، قال أنزور: «بدأت حكايتي مع آل سعود منذ إخراجي لمسلسل «الحور العين» والذي عالجت فيه ما يتعرّض له المغتربون السوريون والعرب عموماً عند عملهم في السعودية، إذ يتمّ استغلال معظمهم من قبل مافيات التكفير لتجنيدهم في عمليات إرهابية في دولهم»، بحسب تعبيره، وأضاف: «كان مسلسل «الحور العين» من إنتاج شبكة mbc، وبموافقة مديرها الشيخ وليد الابراهيم الذي أرسل شخصاً من طرفه للإشراف المباشر على كتابة الخط الديني للعمل، إلا أن إدارة mbc احتجت وقتذاك على العمل وأوقفت عرضه».

من جهة أخرى كتب أحد النقاد معتبراً أن الفيلم جيد تقنياً ويسرد قصته بسلاسة ومتعة، وهو يقدم الأمير الفقير في منفاه وطموحه للعودة إلى أرض أجداده وتأسيس أمبراطوريته وتوسيع سلطانه، وإن رافق ذلك كله أساليب القسوة وأحادية التفكير والتزمت، لا سيما عوائل الأمراء الذين أبادهم عن بكرة أبيهم في مناطق حائل والرياض وغيرها.

وواجه الفيلم المثير للجدل انتقادات واسعة من قبل العائلة المالكة السعودية وبعض حلفائها في الغرب

وبرزت سمعة المخرج نجدت أنزور، الذي هو ابن رائد صناعة السينما السورية إسماعيل أنزور، في إخراج المسلسلات التاريخية والملحمية الكبيرة التي صنعت في الغالب بتمويل من دول الخليج النفطية، وغطت حلقات هامة من التاريخ الإسلامي وتاريخ الشرق الأوسط، وكما هو معروف تعد مثل المواضيع سياسية ودينية وتابوهات مثيرة للجدل أيضاً، وربما لهذا السبب لا يشذ فيلم "ملك الرمال" عن هذه القاعدة.

وأفاد أنزور في مؤتمر صحفي عقده الشهر الماضي بأنه بالفعل تلقى تهديدات باقامة دعاوى قضائية ضده من قبل أطراف مجهولة تحاول منع عرض الفيلم.

وخرج جمهور النخبة العربية الذي شاهد العرض الأوّل للفيلم في سينما بيكاديلي في العاصمة البريطانية لندن، وهو غير مصدق تلك الوقائع التي رويت، وسخر البعض منها أو عبر عن نقمته، بينما أعرب البعض الآخر عن عدم رضاهم عن الفيلم واعتبروه مجرد 120 دقيقة من الدعاية الفجة التي لم تتوانى عن توظيف حتى المشاهد الجنسية الغريبة على بيئة الصحراء.

وفي الوقت الذي ينصف الفيلم الملك عبد العزيز في بعض المشاهد، إلا أنّه يقدمه في مشاهد أخرى كطاغية عديم الضمير، منافق، فاسق، متعطش للدماء ومدعوممن المتعصبين دينياً ومجرد بيدق في يد البريطانيين.

ويحاول الفيلم الربط بين بن لادن والحركة الوهابية المتطرفة التي اعتمدها عبد العزيز آل سعود كخلفية دينية أيديولوجية لتنفيذ طموحاته.

ويبدأ الفيلم بمشاهد عبد العزيز الشاب، الذي لعب دوره في شبابه الممثل الإيطالي ماركو فوتشي، وهو في منفاه تعتمل في صدره أحلامه وطموحاته الواسعة، وينتهي بمشهد عبد العزيز الشيخ المسن على كرس متحرك وهو يسترجع تفصيلات حياته المضطربة، مروراً بسيرة ملتبسة تتراوح بين اغتصاب الفتيات العذراوات وهتك أعراض زعماء القبائل من منافسيه، ويتخلل هذا كله مشاهد جنس غير مبررة تتكرر على مدى وقت العرض، خصوصاً حين يحاول الفيلم تجسيد مشاهد التلذذ بالممارسات الجنسية العنيفة.

ولم تغب السياسة عن القصة الرئيسة حين يظهر عبد العزيز وهو يتهافت على السلطة والملك، حتى لو كلفه ذلك تقديم تعهداته على أقامة دولة إسرائيل وبما يخدم بأمانة المصالح البريطانية لبقية حياته.

وعلى ما يبدو فأنّها المرّة الأولى التي على الأرجح، التي يصور فيها الملك السعودي الأسبق بهذه الطريقة في فيلم روائي وباللغة الإنجليزية، وحتى هذا بحد ذاته أمر بالغ الأهمية ربما سيثير المزيد من النقاش حول التاريخ "المحرم" إن جاز التعبير، للأسرة السعودية الحاكمة، بالإضافة طبعاً إلى أسلوبه في القضاء على منافسيه والعمل مع البريطانيين والأميركيين في وقت لاحق، ومظاهر البذخ التي رافقت حكمه وحكم ابنائه والعلاقة الملتبسة مع المؤسسة الدينية الوهابية.

وإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن الفيلم موجه بالدرجة الأساس إلى الجمهور الغربي وغير المسلم، فثمة صعوبة في فهم المرتكزات الدينية والفكرية للحركة الوهابية وعلاقتها بالدين السلامي الصحيح، ناهيك عن فهم العلاقة بين الأثنين وحركات التطرف التي انتشرت في العقود الأخيرة وماتزال تقض مضاجع الغرب.

لكن في النهاية لقي الفيلم استحساناً كبيراً من لدن الجمهور الكبير الذي حضر عرضه الأوّل، وحيى المخرج بعاصفة من التصفيق المتواصل حال نزول تايتل النهاية، وهو مؤشر على اللغة السينمائية السهلة التي اعتمدها انزور في صناعة الفيلم، والقصة الممتعة التي رواها.

وحسب المخرج فأن العائلة الحاكمة السعودية حاولت توصي رسائل حازمة للمخرج بواسطة شركة محاماة بريطانية، كما قاموا بإجراء مفاوضات لشراء حقوق الفيلم، وهددوا بطل الفيلم النجم الإيطالي فابيو تيستي الذي قام بأداء دور الملك عبد العزيز في كهولته، وطلبوا منه إطلاعهم على مصادر تمويل الفيلم، وأماكن تصويره وأسماء الفنيين والفنانين الذين عملوا فيه حتى يمنعوا عرضه، لكن صانعو الفيلم نجحوا في تسويقه وتوزيعه في جميع أنحاء العالم بمساعدة الشركة المختصة بتوزيع الأفلام التي اعتمدوها.

شريط الأخبار..

مارتن سكورسيزي يترأس لجنة تحكيم الدورة 13 لمهرجان الفيلم بمراكش

الطريق الثقافي - وكالات

أعلن منظمو مهرجان مراكش للفيلم الدولي أن المخرج الأمريكي مارتن سكورسيزي سيترأس لجنة تحكيم الدورة 13 من المهرجان المقررة في 29 من نوفمبر تشرين الثاني إلى 7 من ديسمبر كانون الأول المقبل بمراكش.

ونقلت إدارة المهرجان عن سكورسيزي قوله إنه سعيد جدا بأن يترأس لجنة التحكيم لهذه الدورة. وأضاف إنه صور فيلمين بالمغرب مما مكنه من "حب فكر الشعب المغربي وجمال ثقافته"، كما أنه متشوق "لاكتشاف الأفلام التي ستعرض من مختلف أنحاء العالم في هذه الدورة".

وصور سكورسيزي فيلم"الإغراء الأخير للسيد المسيح" وفيلم "كاندون" في المغرب، كما يحظى بشعبية كبيرة هناك خصوصاً بعد توظيفه لموسيقى مجموعة "ناس الغيوان" المغربية الشعبية في إحدى أفلامه.

نجما هوليوود انجلينا جولي وستيف مارتن يحصلان على جائزة الحكام الشرفية

الطريق الثقافي - وكالات

انطلق موسم جوائز الاوسكار الأسبوع الماضي بتوزيع جوائز الحكام المخصصة لبعض الاختصاصات الفنية، وحصلت نجمة هوليوود انجلينا جولي والنجم ستيف مارتن والنجمة البريطانية أنجيلا لانسبيري ومصمم الأزياء الإيطالي بييرو توسي على جوائز الحكام الشرفية. وقالت أكاديمية الفنون والعلوم السينمائية التي تقدم جوائز الاوسكار، إن جولي ومارتن ولانسبيري وتوسي أصبحوا أول من يحصل على جوائز الحكام الشرفية.

ومن المقرر أن يتسلموا جوائزهم في حفل يقام في هوليوود في 16 تشرين الثاني/ نوفمبر المقبل. وتقدم جوائز الحكام الشرفية لمن كانت لهم مساهمات مهمة في صناعة السينما.

الفيلم الإيطالي (ساكرو جرا) يفوز بجائزة الأسد الذهبي في مهرجان البندقية

الطريق الثقافي - وكالات

فاز الفيلم الوثائقي الإيطالي ساكرو جرا Sacro GRA الذي يتناول حياة مجموعة من الناس يعيشون على امتداد الطريق الدائري حول روما، بجائزة الأسد الذهبي لأفضل فيلم في ختام الدورة السبعين لمهرجان البندقية السينمائي يوم السبت. ويغوص الفيلم في تفاصيل حياة عدد من الشخصيات المختلفة والغريبة الأطوار.

وقال مخرج الفيلم جيانفرانكو روسي في حفل توزيع الجوائز الذي اقيم في القاعة الرئيسية للاحتفال "لم اتوقع قط الفوز بجائزة بهذه الأهمية عن فيلم وثائقي".

وقال المخرج الإيطالي المخضرم برناردو برتولوتشي رئيس هيئة التحكيم، "اعتقد ان كل اعضاء هيئة التحكيم شعروا بما في فيلم روسي من لغة شاعرية قوية وهذا كل ما يمكن أن يقال". وكان فيلم روسي واحدا من فيلمين وثائقيين في المسابقة. والفيلم الاخر هو فيلم "المعروف المجهول" The Unknown Known للمخرج الأمريكي ايرول موريس وهو عن دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي ابان غزو العراق. ولم يحصل الفيلم على اي جوائز في المهرجان.

وذهبت جائزة الأسد الفضي لأفضل مخرج إلى اليوناني الكسندروس أفراناس عن فيلم "ميس فيولنس" Miss Violence وهو يروي قصة عائلة يستغل فيها الاب ابناءه في أعمال البغاء لتحقيق مكاسب مالية.

المخرج تيري جيليام يحذر من العالم الأفتراضي وإدارة الرأسمالية

الطريق الثقافي - وكالات

شارك المخرج الأمريكى تيرى جيليام فى مهرجان البندقية السينمائي في دورته الأخيرة بفيلمه «نظرية الصفر»، الذي عرض ضمن المسابقة الرسمية، ونافس بقوة على جائزة الأسد الذهبى. وتدور قصته حول عبقرى حاسوب الذى يحاول إيجاد حل لنظرية الصفر وهى صيغة رياضية ستحدد إذا كان للحياة معنى أم لا، لكن تحاول شخصية غامضة يرمز لها باسم «الإدارة»، وهو رمز يراد به الايحاء للسلطة الرأسمالية العليا التي باتت تتحكم وتتدخل بحياة الأفراد بشكل سافر، مقاطعته ومراقبته. المخرج حذر من مخاطر العالم الإفتراضي الذي فرضته علينا التكنلوجيات الحديثة. ويقول: "تحول العالم على هذا النحو يعتبر فشلا كبيرا لجيلي، اعتقدنا أننا غيرنا العالم، و حققنا انجازات، لكننا الآن حين ننظر قليلاً إلى الوراء نلاحظ اجتياح العالم الأفتراضي لحياتنا كلها، وهوما تعاني منه حالياً الأجيال الجديدة التي ضعفت علاقاتها الاجتماعية بشكل مخيف.

جائزة "سيسيل دي ميل" للممثل والمخرج الكبير وودي ألن

الطريق الثقافي - خاص

أعلن مُنظمو حفل الغولدن غلوب أن المخرج الكبير وودي آلن سيحصل في الحفل المُقبل على جائزة "سيسيل دي ميل"، وهي واحدة من أهم الجوائز التكريمية التي تُمنح للسينمائيين. وأكد ثيو كينجما رئيس جمعية الصحافة الأجنبية في هوليوود، والتي تمنح جوائز الجولدن جلوب في بيان صحفي أن وودي آلن من أكثر الفنانين استحقاقاً لهذه الجائزة،وهو بمثابة "كنز دولي" بسبب إسهاماته الهائلة في مجال السينما.

وتمنح جائزة "سيسيل دي ميل" التي سُميت بهذا الاسم نسبةً إلى المُخرج الكبير وأحد مؤسسي صناعة السينما في هوليوود،، للموهوبين الذين تركوا أثر كبير في عالم الترفيه، وينضم آلن بحصوله على الجائزة إلى أسماء كبيرة مثل ستيفن سبيلبرج، مارتن سكورسيزي وروبرت دي نيرو، بينما كانت النجمة جودي فوستر أخر الحاصلين عليها في حفل توزيع الجولدن الغولدن غلوب أُقيم في وقت سابق من العام الجاري.

ومن المنتظر أن يحصل آلن، الذي أخرج أكثر من 45 فيلماً، على التكريم الخاص به في الحفل المُقبل للغولدن غلوب بداية العام المُقبل 2014. يذكر أن آلن عرض أخر أفلامه "الياسمين الأزرق" Blue Jasmine في شهر آب/ أغسطس الماضي.

أحتفالية مئوية السينما الهندية فى متحف جيميه

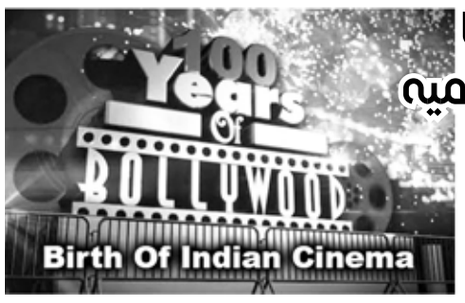

الطريق الثقافي - وكالات

تحتفل الاوساط الثقافية الفرنسية بمرور مائة عام على السينما الهندية وقد وجهت الدعوة للمخرج والمنتج السينمائى الهندى المعاصر "شيام - بونوجال" ليكون ضيف شرف فى الاحتفال الذى يقام حاليا فى متحف جيميه للفنون الاسيوية بباريس فى الفترة من 9 أيلول/سبتمبر الجارى حتى 30 تشرين الأول/ اكتوبر المقبل.

النادره التى تعرض فيلم المخرج "دادا صاحب - فال" المعروف باسم "ابو" السينما الهندية والذى اخرجه فى العام 1913. يعرض خلال هذا المهرجان 30 فيلما طويلا منهم 20 فيلما لم تعرض من قبل فى فرنسا، ومن بين الافلام

ذاكرة

ليش فاليزا وذاكرة التاريخ في فيلم

رئيس بولندا الأسبق، وزعيم نقابات «تضامن» العمالية ليخ فاليسا، الحاصل على جائزة نوبل للسلام، والشخصية المثيرة للجدل ومتاتزال في بلاده بولندا وخارجها، هو محور فيلم أخرجه البولندي "اندريه فايدا" بعنوان "فاليسا"، الذي عرض في مهرجان البندقية السينمائي الأخير خارج المسابقة الرسمية. يقول اندريه فايدا: "أعتقد أنه لا يمكن أن تنشر معلومات خاطئة عنه أكثر مما نشر، لقد كونت صورة زائفة عن شخص مهزوم ولا أحد يتذكر أن هذا الشخص هو من منحنا الحرية."

الطريق الثقافي

NO. 76

21 أيلول/ سبتمبر 2013 21 September

مدير التحرير
محمد حيّاوي
m.shather@gmail.com

التحرير
ناصر قوطي
سعدون هليّل
التدقيق اللغوي
حسن القاضي

لمتابعتنا على الفيسبووك
www.facebook.com/altareek.althakafi

التصميم Sillat Media • للاتصال بهيأة التحرير althakafya@iraqicp.com

www.iraqicp.com

إضاءة

تحرير الثقافة من الدولة

أنعكست الفوضى السياسية الضاربة أطنابها في بلادنا بالضرورة على الحياة الثقافية وتقاليدها، وبات الارتجال يهيمن على جميع الفعاليات الثقافية. وطالما ظل الوضع السياسي المتردي في البلاد على حاله، فلا خلاص للثقافة العراقية إلا من خلال تشريع ينبغي العمل عليه في البرلمان لتأسيس صندوق مستقل للثقافة يمول سنوياً من ميزانية الدولة بشكل مستقل وتنتخب لإدارته هيئة مستقلة من اوساط المثقفين أنفسهم، ويخضع لرقابة الهيئات العامّة والبرلمان والمنظمات الثقافية، كاتحاد الأدباء ونقابة الفنانين وغيرها من المنظمات التي ينتمي اليها غالبية المثقفين العراقيين.

وبما أن الدولة تبدو أحيانا كالملوك الذين "إذا دخلوا قرية أفسدوها"، فأن الخلاص من هيمنتها على الثقافة أصبح ضرورة ملحة من أجل تحرير الثقافة من السياسي البعيد عن الهم الثقافي وتفصيلاته وتعقيداته، تلك الهيمنة التي ورثتها الدولة الجديدة من الدولة السابقة، عندما كان النظام يهيمن على مقدرات البلاد والعباد ويوظف كافة المفاصل في ماكنته الطاحنة، وكما تدخلت الدولة السابقة في صناعة الدواجن والتفريخ وزراعة البرسيم، تدخلت في صناعة الأفلام والمسرحيات والمعارض التشكيلية والموسيقى، فكانت النتائج كارثية، وتحول دعم الفعاليات الثقافية والمثقفين إلى "مكرمات" مذلّة تتصدق بها الدولة على المثقفين لتخضعهم مع مرور الوقت للتدجين المنظم.

الدولة الجديدة تقتدي، على ما يبدو، بالدولة القديمة، فصارت تتصدق على المثقفين بما بات يسمى "المُنح" التي توزع بطريقة مذلّة أيضاً عن طريق الإتحادات والنقابات، وهي تسمية مبتكرة للمكرمات القديمة، لكن الغاية ظلت كما هي دائماً، إذلال المثقف وتدجينه وتنمية الشعور لديه بالعجز والضعف والخضوع، ناهيك عن الفوضى والمجانية الحاصلة في طريقة الإنتماء لتلك المنظمات وعدم مهنيتها.

إن الأوساط الثقافية والإتحادات والنقابات المتخصصة التي ينتمي إليها اغلب المثقفين مدعوة لممارسة الضغط على الدولة من أجل تشريع قانون خاص لتأسيس صندوق مستقل للثقافة يمول سنوياً وبشكل مباشر من الميزانية العامّة، أسوة بباقي الدول التي تحترم ثقافتها و مثقفيها وتؤمن بتأصيلها وتطويرها ومن ثم التفاخر بها باعتبارها واحدة من أهم مكونات الهوّية الوطنية.

وكما افسدت الدولة السابقة الحياة الثقافية وسممتها بتدخلها السافر فيها، تفسد الدولة الجديدة تلك الثقافة وتسممها بالإدارات الهزيلة وانعدام التخطيط والفساد والمحسوبية، وخير دليل على ذلك الفوضى التي صاحبت فعاليات بغداد عاصمة الثقافة العربية، وهدر الملايين على مشاريع غير محسوبة وشبه وهمية وغير مخطط لها، ناهيك عن ما تشكله تلك الإدارات المترهلة من عبء ثقيل على ميزانية الدولة.

تخصص الدول المتقدمة ما لا يقل عن 1 % على الأقل للثقافة من ميزانياتها الوطنية، كما تخصص بعض الدول المحيطة بالعراق مثل تلك الميزانية أو ما يقاربها، فتخيل لو أن صندوقاً مستقلاً لدعم وتنمية الثقافة العراقية يمول سنوياً وبشكل مستقل من ميزانية الدولة بمثل هذه النسبة، وهي في هذه الحال لا تقل عن مليار دولار!

إن عمل صناديق دعم الثقافة في البلدان التي تحترم ثقافتها سهلة للغاية، إذ يدار في الغالب من قبل هيئة منتخبة من المثقفين يشكلون بدورهم عدداً من اللجان المتخصصة في الصنوف الإبداعية تضم خبراء في اختصاصاتهم، ثم تتاح الفرصة لأي مثقف صاحب مشروع ويرغب بتمويله التقدم للصندوق بطلبه، على أن يتوفر الطلب على كافة المبررات والمقترحات الموجبة والنتائج المرجوة منه وتفصيلات ميزانيته، بغض النظر عن طبيعة هذا المشروع، سواء كان كتاباً أو فيلماً أو معرضاً تشكيلياً أو مسرحية أو أغنية أو مجلة ثقافية أو حتى موقعاً إلكترونياً.

إن المسارح المهدمة ودور العرض السينمائي المهجورة وضياع الإرث الغنائي والموسيقي وانقراض الفنون الشعبية، لا يمكن أن تعالجها الدولة غير المتخصصة بالثقافة، وبشكل أو بأخر لا بد من تجريد تلك الدولة من عصى المال التي طالما دجنت المثقف في بلادنا وحولته إلى تابع ينتظر هباتها المشروطة.

إن المطالبة بتشريع قانون لتأسيس صندوق دعم الثقافة المستقل هو من أبسط حقوق المثقف الذي يعتز بكرامته ويفخر بانتمائه لبلده، وهو في الوقت نفسه خير دليل على رقي النظام السياسي وعدالته.

محمد حيّاوي

المعرض التشكيلي

الفنان تحسين الزيدي
هارمونية الضوء

محسن الذهبي

استطاع الفنان الشاب (تحسين الزيدي) أن يسجل حضوراً واضحاً في المشهد التشكيلي العراقي المهاجر. فمنذ بدأنا نطالع أعمال الفنان كنا نحس بتأثير ذلك التلاعب والابهار اللوني الذي يغرق أرجاء اللوحة ويستدرج العين بحدة لونية محملة بأجواء ضاجه بصخبها، فالضوء يحول الوجوه في اللوحة الى فضاء حي مشبع بنبض الفعل اليومي والانفعال الممتد إلى أعماق النفس.

فابداعه ينفتح على مداليل التأثير اللوني لاحداث الأثر المطلوب وايجاد الاشباع النفسي والادراكي لدى المتلقي، وبسعى واضح الى إغواء العين بهذا التناقض الحاد، لانه يعرف مقدماً ان وعي التلقي يستثار بالمختلف المستفز ولا يبالي بالمألوف الجاهز. فأعمال الفنان (تحسين الزيدي) لا تقتصر على ما هو صوري، بصري، دلالي، بمعنى صياغة تشكيلية للصورة الواقعية، بل تذهب أبعد من ذلك، إلى استنطاق ما وراء الصورة، من خلال تجسيد ما بعد المرئي والحسي، ليحمل الما وراء بعده الوجودي بمكوناته الثلاثة (الإبستيمي و ا لأ نطو لو جي والوظيفي)، فتغدو للوحة دلالات متعدده من معطيات تقدمها شفرات الخطاب التشكيلي فضلاً عن قيمتها الفنية والجمالية. فهي مكون حقيقي من مكونات هوية هذا الفنان التشكيلي، التي لا تنفصم عن اللحظة الابداعية التي ينتمي إليها. فهو يشتغل على زمنين.. زمن ابداعي يحاول تجميد واستنطاق اللحظة الحسية لوجوه منفعلة يختارها بعناية شديدة وهي تمارس ابداعها في العزف الموسيقي، وزمن واقعي يحافظ على تثبيت ذلك الواقع الفيزيقي الفضائي على الشخوص والأشياء والأمكنة لإدراك تلك اللحظة السكونية، وبذلك يحرك السكونية الزمانية ويحيلها الى انفعال عبر ضربات لونية سريعة، لكنها متقنه تنم عن استيعاب لقدرة اللون التعبيرية، ويجهد الفنان لخلق بؤرة لونية في تشخيصية الوجوه تشع وسط فضاء اللوحة وتكون مركز الاستقطاب للعين لخلق هذا التناغم اللوني وجمع تشظيات اللحظة الحسية وصهرها في مداليل اللون في بحثه عن خلود اللحظة الساكنة.

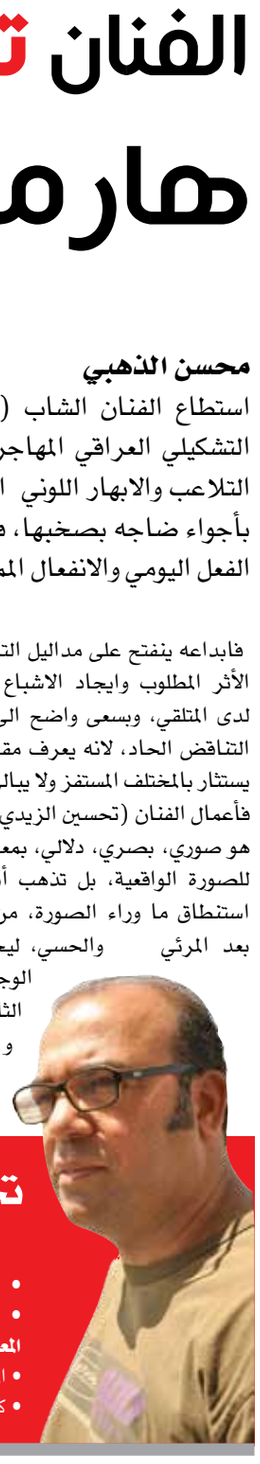

ان تجربة الفنان تضيف الى المشهد التشكيلي العراقي الذي تبلور خلال السنوات الأخيرة ، في العديد من المغتربات العالمية مع مجموعة من الاسماء الشابة بعداً يحاول أن يحمل لواء الجرأة في تقديم منجز بصري حداثوي يضاهي ما تنجزه محترفات الفنون العالمية، مضيفاً الى تراث المشهد التشكيلي العراقي الثر دماء جديدة فاعلة ومؤثرة، وأعتقد ان مثل هذه التجارب ستتطور وستثمر ان وجدت الفضاء المفتوح لإيصال تلك الرؤى والتجارب والأفكار الثرية بانسانيتها الى قاعات العرض الى عين المتلقي الواعي.

تعبر عن مزاج ونفسية لحظة الابداع والحالة الوجدانية التي تغرق بها الشخوص، فهو يتوغل الى عمق حالة الإلهام فيسبغ على تشكيلاته اسقاطات متخيلة لا تنحرف في انطباعيتها عن الواقع كثيراً، بل تستثمر عدة اتجاهات فنية في بوتقة واحدة، فمن التشخيص التشبيهي الى الانطباعية التجريدية تتمازج فيها الفنتازيا بالواقع بعنف وجموح لوني لتجسيد مشهدية احتفالية متقاربة ومتماهية مع صدى النغمات الميتة التي يحاول الفنان رصدها، كون الأمر وكما يقول مارتن هايدغر في كتابه ـ أصل العمل الفني ـ " لا يتعلق بإعادة التعبير عن الموجود الفرد الحاضر في كل مرة، انما يتعلق بالتعبير عن الجوهر العام للأشياء".

ان أعمال الفنان (تحسين الزيدي) تتأمل المظهر البصري ـ المادي ـ لتوصل الأنا المجسدة الى استنتاجات حدسية حول الجوهر الداخلي، هدف الفن عنده أن يظهر للعيان ما يتولد عن الروح من التمثلات والتصورات عبر اختراق الأشياء والنفاذ الى ماوراء الواقع، بل الى ماوراء الخيال كذلك. ان الوجدان الانساني في أعماله هو نور يخرج من الاعماق ليتوج ويضيء المشهد في اللوحة مستعيراً من الموسيقى رومانسيتها

تحسين الزيدي ـ سيرة ذاتية

- تولد بغداد 1974
- بكالوريوس علوم هندسة

المعارض:

- المدى ـ دمشق 2009
- كاليري أندا ـ عمان 2010
- كاليري الزمان ـ لبنان 2010
- كاليري اندا ـ عمان 2012
- كاليري نفسكي ـ روسيا 2012
- قاعة حوار ـ بغداد 2013
- كاليري FA ـ الكويت 2013

الأعمال الفنية العراقية المفقودة

«مايا» أرشيف إلكتروني لتتبع اللوحات المسروقة

الطريق الثقافي ـ خاص

يسعى موقع أرشيف العراق للفن الحديث (مايا) على شبكة الإنترنت، لتوثيق وتتبع الأعمال الفنية الحديثة المسروقة من المتحف العراقي للفن الحديث في بغداد، الذي شهد دماراً وعمليات نهب في أعقاب الغزو الأمريكي للعراق في العام 2003. وكما يظهر في الموقع، فإنه لا يعرف سوى القليل جدا عن كثير من هذه الأعمال، بما في ذلك أماكن وجودها الحالية أو موقعها الأصلي في المتحف. ويقدم الموقع الأعمال الفنية في قاعدة بيانات على شكل مصدر مفتوح من أجل رفع مستوى الوعي العام عن الأعمال العديدة المفقودة ولتشجيع الأفراد المهتمين بالمشاركة في المساعدة على توثيق ممتلكات المتحف الأصلية أو المفقودة. وأسس موقع "مايا" كثمرة لسبع سنوات من العمل من قبل المديرة العامّة للمشروع السيّدة ندى الشبوط، وهي أستاذة تاريخ الفن ومديرة معهد الدراسات العربية والإسلامية (كامسي) في جامعة شمال تكساس. وعملت الشبوط منذ العام 2003 على جمع المعلومات المتاحة عن الأعمال المفقودة من خلال البحوث المكثفة والمقابلات مع الفنانين وموظفي المتحف وأصحاب معارض الفن. وتلقى الموقع زمالتين من معهد البحوث العلمية الأمريكية في العراق TAARII خلال عامي 2006 و2007 لإجراء المرحلة الأولى من جمع البيانات. ويهدف موقع "مايا" لرسم خريطة لتطور الفن الحديث في العراق خلال القرن العشرين، لتكون أداة بحث للعلماء والطلاب والسلطات الرسمية وعامة الجمهور، بالإضافة إلى إنشاء سجل موثق ومتاح للجميع يضم هذه الأعمال والتذكير بقيمتها الثقافية وبالتالي تسريع عودتها ومكافحة تهريبها والتعامل بها في السوق السوداء.

للمزيد من المعلومات:

http://artiraq.org/maia